أنين الخطيئة

مجموعة قصصية

أحمد صبيح

سما
للنشر والتوزيع

أنين الخطئية

دكتور / أحمد صبيح

الطبعة الأولى: يناير
1440 هـ - 2019م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

دار الكتب المصرية

أنين الخطئية

صبيح . أحمد

القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2019

244 ص: 13,5×19,5سم

أ. العنوان

رقم الإيداع: 3324 /2019

تدمك 1 - 280 - 781-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار «سما» للنشر
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة
تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com
Web-site: publishing@sama-publishing.com

التوزيع

المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

80 ش حلومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تلفاكس: 24518068 202+ - 01099998240 2+
email:aldawleah_group1@yahoo.com

التنفيذ الفني

درج
للاستشارات وخدمات النشر
ali@daraj-eg.com

تقديم :

احترام النفس كنز لا يفنى... لأن الإنسان الذى يحترم نفسه سوف يُعرض عن السلوكيات التى تحط من شأنه أمام نفسه أولاً ثم أمام الناس...

وهو يرياً بنفسه أن يأتى أفعالاً فى السر، إذا انكشف أمرها تجعل سيرته أحاديث تلوكها الألسن ليس هذا وحسب وإنما يخجل أن يواجه بها أسرته - زوجته وأبناءه.

ولهذا يحرص كل الحرص على أن يظل رافع الرأس موفور الكرامة أمام الناس جميعًا.

فالإنسان ذو القدر يأبى أن يعمل فى السر عملاً يخدش اعتباره إذا ظهر إلى العلن... كما أنه يستحى من الله أن يطلع عليه وهو يعصيه... فالله مطلع على أفعالنا لا يخفى عليه شىء منها.

واحترام النفس لا يرتبط أبداً بوضعية الشخص فى المجتمع فالذى ينافق هو شخص لا يحترم نفسه والذى يكذب هو شخص لايحترم نفسه والذى... والذى...!

فالإنسان يعيش مع نفسه بحيث لا يضعها فى مواقف تتعارض مع احترامه لها فسوف يقضى أيامه ولياليه مرتاحًا هانئ البال.

فالإنسان ونفسه فى علاقة تبادلية... فمن ناحية هو يلزمها بما يراه صحيحًا وينهاها عن إتيان الأفعال التى تغضب ربه وممارسة ضبط الأمور فى كلا الاتجاهين... اتجاه سيطرة الإنسان على نفسه ورغباتها وأهوائها ونزواتها، واتجاه ممارسة النفس لدورها فى محاسبة صاحبها على أعماله وتصرفاته.

فاحترام الإنسان لنفسه يدفع عن الإنسان السوء فى الدنيا ويعطيه طمأنينة النفس التى تدخله الجنة خالداً فيها، وعدم احترام الإنسان لنفسه يجعله أهلاً لارتكاب كل نقيصة والوقوع فى المهلكات كلها.

بين أيديكم مجموعة من القصص الواقعية تبوح نصوصها بقيم إنسانية يفتقدها الإنسان فى ظل الزحام الذى يحتويه وإلحاح الأزمات المادية والنفسية التى تسيطر على الذات وفى

ظل تلك المواجهة تتسال العواطف والانفعالات والغرائز وتتحدد الرؤى وردود الأفعال وينسى الإنسان أن الشرارات الصغيرة تنتج عنها حرائق مستعرة ويضعف الإنسان شيئًا فشيئًا ويسقط فى بئر الخطيئة ويعذبه الضمير ويندم على فعلته ويشكر الله على ستره ويتوب توبة صادقة...

وسيجد الله غفوراً رحيما بشرط الإقلاع عن الذنب تمامًا وحينئذ سوف تصفو نفسه، ويعيش مرتاح البال والضمير.

دكتور / أحمد صبيح

٢٠١٥/٩/٢م

تحت المطر

لا أدرى كيف اتخذت هذا القرار المصيرى الذى حول مجرى حياتى بالكامل .. ربما يكون الإحساس المرير بالظلم وعدم تكافؤ الفرص... فور تخرجى فى كلية الطب بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف فوجئت بعدم تعيينى معيدًا فى الكلية وتم تعيين غيرى لأنه ابن أستاذ بالكلية...

فماذا أفعل...؟! إما المواجهة وفى النهاية سيكون ما يريدون وإما الهروب المخطط إلى الخارج لإثبات الذات والعودة مرة أخرى للمواجهة المتكافئة وإرغام المجتمع على قبولى...

وهذا ما فعلته سافرت إلى إنجلترا؛ لتكملة دراسة الماجستير والدكتوراه... وعانيت ما عانيت من مشقة فى البداية لكن تأقلمت مع الحياة الإنجليزية، وبدأت أدرس وأعمل فى الوقت نفسه؛ لأحقق الهدف الذى جئت من أجله...

تعرفت عليها فى إحدى قاعات البحث المعملى بنت إنجليزية من أصل مصرى؛ والدها من أكبر أطباء العالم فى أحد التخصصات الطبية النادرة تدرس معى فى نفس التخصص كانت لى العون كله بعد الله سبحانه وتعالى عوضنى الله بها عن ظلم أهلى فى بلدى...

أحببت شاهيناز البنت الحلوة الجميلة التى جمعت بين الجمال الأوروبى وخفة الدم المصرية والثقافة المتعددة والمتنوعة وأهم من ذلك كله الحفاظ على التقاليد بنت من صعيدإنجلترا، أقصد جنوبه، وكأنها من صعيد مصر كانت الصداقة فى حدود حتى عندما صارحتها بحبى لها وأنى أحببتها منذ اللقاء الأول الذى تم منذ عام على وجودى فى إنجلترا، وجدتها مضطربة يكسو وجهها الاحمرار من شدة الخجل وكأنى لست فى انجلترا وإنما أخاطب بنتًا مصرية فى ريف مصر وكان عليها أن تبلور هذا فأبلغت أسرتها بعلاقتنا وتم التعرف عليهم والدها وأمها وأخ يكبرها. وأحصل على الماجستير وأسجل للحصول على الدكتوراه وأعيش أحلى أيام حياتى مع خطيبتى شاهيناز التى أعادت لى رؤية جمال مدن والضواحى فى إنجلترا...

كانت لحظات السير على الأقدام تحت المطر مرتديين البلاطى الجلد ممسكين بالشماسى الملونة ونشدو بأجمل

عبارات الحب، ثم نجلس على أحد المقاعد المنتشرة داخل إحدى الحدائق... نتناول مشروبًا ساخنًا أو نأكل سندوتشات والأمطار ما زالت تتهمر فى منظر رائع حبات من الثلج الأبيض الشفاف فى صورة بلورات تسقط على أرضية رخامية محدثة نغمات رائعة...

وكأن الطرق المتخللة أرض الحديقة المنزرعة بالورود والأشجار تغسل بأرقى أنواع المنظفات والشامبوهات والمياه المعدنية النقية...

أيام جميلة قضيتها مع شاهيناز حتى حصلت على الدكتوراه ووافق والدها على زواجنا لتنمية أواصر الصلة بين جذورنا فى مصر وحاضرنا ومستقبلنا فى إنجلترا...

وقررت عدم العودة إلى مصر إلا بعد تحقيق الهدف الأكبر العلم والشهرة فى تخصصى، وجاهدت من أجل تحقيقه وبدأت أسعى للقيام بزيارات عملية إلى مصر لعدة أهداف منها خدمة أبناء بلدى وزيارة أهلى ولتتعرف زوجتى عليهم وكونت أسرة صغيرة ساعدتنى وحافظت على التقاليد التى تربيت عليها وتربت عليها زوجتى بنت صعيد إنجلترا...

وبدأت أسعى لزيارات متقاربة لبلدى الحبيب مصر...

وفى شتاء هذا العام فى زيارتى الأخيرة... توفى أحد أصدقاء الطفولة.. صاحب المركز الوظيفى الحكومى المرموق والذى يسكن إلى جوارى فى مدينة الرحاب الجديدة...

كما كنا جيران فى كفر البسطا... بيوتنا فى شارع واحد تكاد تكون متلاصقة... العيشة الريفية البسيطة التى تركناها فى مرحلة الجامعة.. ولم نعد لها بعد ذلك..

وافترقنا.... حتى تقابلنا بالصدفة فى مدينة الرحاب..

فيلته مجاورة لفيلتى شبه المهجورة لوجودى أنا وأسرتى فى الخارج معظم فترات العام...

السماء تمطر قطرات متلاحقة من المطر، ثم تتوقف لثوان، ثم تعاود مرة أخرى.... وبرودة الهواء تحتويها لسعة فى الوجه لم أعتدها فى أيام الشتاء اللندنية..!

صلينا عليه فى المسجد الكبير الوحيد فى مدينة الرحاب..

لكن لا بد من دفنه فى قريتنا التى تركناها منذ أكثر من ثلاثين عامًا..

قريتنا تبعد عن القاهرة مسافة نقطعها بالسيارة فى خلال الساعات الثلاث ربما تزيد أو تقل حسب ظروف الطريق..

وبدأت مسيرة وركب الجنازة تحت المطر من مدينة الرحاب.. سيارة الموتى بجوارها عربة الشرطة وما زالت

الأمطار تنهمر... وكلما بعدنا عن القاهرة زاد هطولها... سبحان الله... سيل من المياه متواصل بلا هوادة...

حوادث السيارات على الطريق غير الممهد وغير المعد لاستقبال غزارة الأمطار.. مناظر مؤذية للنفس البشرية..

وما زال ركب الجنازة يسير فى خطوات ثابتة ومنتظمة؛ تخوفًا من حدوث أى مكروه لأى سيارة فى الموكب....

أنظر من خلال زجاج نافذة سيارتى بصعوبة إلى جانبى الطريق على العمارات التى اعتدت على الأرض الزراعية التى لا تعوض خلال سنوات طويلة، قرى... وكفور قد اندثرت أو أدمجت فى أخرى...

يذكرنى بها سائق سيارتى... وما زال المطر يهطل بغزارة .. يا سبحان الله... قادر على كل شىء..

ونصل إلى كفر البسطا.. لقد تغيرت معالم قريتى...

أكثر من ثلاثين عاما لم تطأ قدماى أرض الكفر...

يدخل ركب الجنازة ليستقر بجوار المسجد الكبير بالقرية ونصلى عليه صلاة الجنازة... ولا بد أن يحمل الجثمان على الأكتاف... متوجهين به إلى المقابر... وأين المقابر إنها خارج القرية... مسافة طويلة... والأمطار تزداد غزارة وبرودة الجو القارس تدخل العظم مباشرة...

البهوات والبشوات... وأصحاب المناصب العليا كيف يسيرون فى أرض طينية تحت سقف من المياه المتدفقة بغزارة متواصلة... الطريق المؤدى إلى المقابر غير ممهد لسير السيارات الفاخرة.. وما الحل.. وبدأت الحيرة، هل ننتظر داخل المسجد؟.. لا بد من الانتظار...

الوقت يداهمنا.. وأصحاب المناصب العليا يحرصون على وقتهم وتوقف هطول المطر لا يعلمه الا الله وحده...

لا مفر من خوض غمار السير على الأقدام...

وخرج الجمع الغفير من المسجد والجثمان محمول على الأكتاف ينضم إليه أعداد أخرى من أهالى القرية وبدأت المسيرة إلى القبور... طرق غير ممهدة.. ضيقة...

ظهرت بعض الشماسى لعدد قليل من كبار المشيعين والباقى يتحمل قسوة الهواء البارد المحمل بقطع من الثلج وفور وصولنا إلى المقابر وخلال دقائق قليلة كانت إجراءات الدفن قد انتهت وما زالت الأمطار تهطل، لكن قلت حدتها أثناء وقوفنا فى أرض المقابر وتعاود بقسوة وغزارة مرة أخرى ... الكل يسرع فى السير إلى حيث تقف عرباتنا... لا فائدة....

أحذية البهوات والبشوات يكسوها الطين بكاملها من شدة خصوبة الأرض طينية لزجة، والملابس يسيل منها الماء. أشكالنا

لا يرضاها عدو ولا حبيب، وكأننا عمال الترحيلة الفقراء الذين يعملون بالفاعل أجراء فى أحلك ظروف الطبيعة تحت وطأة الحاجة المادية والمعيشية ونحن اليوم مثلهم. وما الفرق بيننا وبينهم..؟ ربما الظروف.. الأقدار..!

نحن وجدنا من ينفق علينا وأتيحت لنا فرصة التعليم..

وهم لم يجدوا من...! ونحن..! وهم...!

وصلنا إلى عرباتنا... والحُرَّاس والسائقون يفتحون أبواب السيارات لنا لنلقى بأجسامنا المبتلة داخلها..!

وانطلق الركب مرة أخرى عائداً الى القاهرة بدون صديقى... لقد تركناه وحيدا فى قبره..

منها خرجنا وإليها نعود مرة أخرى...

خرجنا شبابا وقوة وحيوية بحثا عن متع الدنيا..!

وعدنا جثة هامدة لا خيار لنا...!

وفى مدخل القاهرة تفرقت العربات.. وتعالت أصوات الكلاكسات معلنة العودة إلى الحياة الدنيا وتناسى الجمع عظة القبور.. الموت يأتى بغتة!

وما زالت قطرات المطر تنهمر بحنية وهداوة..

وعدت إلى مدينة الرحاب مرة أخرى...

ولم يأت ليل هذا اليوم إلا وأنا وسط أسرتى بلندن أعيد حساباتى مرة أخرى فى كيفية قضاء أيامى المتبقية فى حياتى الدنيا التى لا يعلمها إلا الله..!

وقررت الكثير والكثير.. أهمها قرار مصيرى... لا بد من...!

أطلب العون من الله وسبحانه نعم المعين..

هل ترضى زوجتى وأولادى وأهلها بالعودة؟

هل أستطيع؟... ربما بعد إعداد أمور مهمة..

قرار مصيرى لإنهاء الخطوط التنفيذية

بعد نجاحها ولا بد من العودة مهما كلفتنى وكلفت أسرتى..!

فجر الأحد

٢٠٠٧/٢/٤م

****

الكلاف

وعيت على الدنيا لأجد نفسى وحيداً لا أب ولا أم ولا أخوات ولا خال ولا خالة ولا عم ولا عمة ولا أقارب لى بالمرة..

وجدت نفسى أخدم عند رجل طيب أناديه يابا الحاج عبده

لم أشعر فى يوم من الأيام أنى طفل كباقى الأطفال...

أرى أطفال القرية يلعبون ويجرون ويتشاجرون ويجلسون على المصاطب مع أهاليهم يحكون معهم وينقلون لهم خبراتهم الحياتية المتوارثة فى حوار يكسوه الحب والعطف والمودة وأنا منقاد وراء الحمار محملاً بما قطعته من أرضية الزريبة من روث البهائم يسمونه السباخ لأذهب به إلى الغيط؛ ليستخدم غذاء للأرض، ثم أعمل طوال النهار بالحقل...

أدور الساقية وأنا منساق وراء البقرة، مغلوبين على أمرنا مقيدين بالحبال فى عمود خشبى؛ مغماة أعينها بقطعة من

الخيش، ومغيب عقلنا للحظات لأتساوى معها فلا أرفس ولا أغضب، فإذا تعبت البقرة أذنت لها بالراحة لمدة دقائق...

أضع لها البرسيم بعد تنقيته من الجُعضيض لأتناوله أنا مع قطعة من الجبن القريش أو القديمة مع شوية مش ورغيف عيش، ثم أعاود العمل من حش البرسيم أو جمع أى محصول من الأرض الواسعة التى يمتلكها أبا الحاج عبده.. وفى آخر اليوم أعود مسحوبًا وراء البهائم التى تعرف طريقها من الغيط إلى البيت تدخل الزريبة بعد أن اطمأنت على دخولى زريبتى الصغيرة حجرة ضيقة مصمتة بالطين اللبن لا منفذ فيها اقتطع من مبنى الزريبة بها تجويف صغير فى الحائط الأمامى يسمى طاقة مغلقة أضع فيها اللمبة الجاز التى يمر عليها شهور لم تشعل لأننى أفضل النوم فى الظلام حتى لا أرى واقعى المرير...!

أرضية الغرفة لا أعرف لها لونًا... ملقى عليها مرتبة قد عفّى عليها الزمن تكاد تلاصق الأرض يعلوها مخدة صغيرة مبظرة من أكثر من جهة يستغيث قطنها للخروج من أكثر من فتحة من عوامل التعرية دون استجابة..!

كيسها ضاع لونه من تشبعه بعرقى المتسخ..!

يعلوها بطانية سوداء نُحلت وبرتها استخدمها إن أردت فى ليالى الشتاء القاسية والتى قل اللجوء إليها، وكنت أهرب من

قسوة حرارة الغرفة فى الصيف بالنوم على الحصير المفروش فوق الحضير؛ أقصد فوق سطح المنزل!

غرفتى زنزانة صغيرة لا تدخلها شمس ولا هواء ولا ينظفها أحد...

أرمى جسدى المتهالك على الأرض لأغوص فى نوم عميق من مشقة العمل طوال النهار وأحيانًا يقرصنى الجوع وأسمع زغورة (صوت) أمعائى، أقوم وأبحث فى غرفتى عن أى شىء تركته لى أمى الحاجة لألتهمه وألحق بالنوم السريع حتى لا يسرقنى الوقت ويأتى الفجر ويوقظنى أبا الحاج وهو ذاهب إلى صلاة الفجر فى المسجد... وما أكثر الأحيان التى لا أستطيع فيها النوم وأنا أسمع الأطفال والصبية من هم فى عمرى يلعبون الاستغماية وعسكر وحرامى وألعاب السباق وغيرها... نفسى ألعب معاكم، لكن كيف!

أنسج مع نفسى بعض الألعاب الخيالية لتسعدنى للحظات..!

حتى ينقذنى النوم العميق من مغبة التفكير القاتل...

كان ملبسى هو ملابس حمادة ابن أبا الحاج عبده الذى يكبرنى بعدة سنوات وكان يعطف علىَّ، ويتنازل ويعلمنى بعض الألعاب خلسة من وراء أبيه ونحن فى الغيط وما أقلها..!

وكان له أخت تصغرنى وأختان يكبرانه بعدة سنوات!

كان جلباب أبا الحاج عبده القديم ملبسى فى العمل طوال النهار بعد إدخال التعديل عليه بتقصير طوله وأكمامه وربطه من المنتصف بحبل صغير ليرفع من على الأرض؛ حتى لا يتسخ ذيل الجلابية وفى الأعياد أرتدى أحد بناطيل حمادة التى صغرت عليه أو قطعت فى جزء بسيط، ثم رفت ورفضها حمادة وألبس حذاءه القديم بعد مسحه بقماشة مبللة بالماء ليظهر أنه جديد رغم ذلك تجد جلد الحذاء مجيرًا من فعل الماء على الوساخة، لكن طوال النهار وأثناء عملى اليوم أسير حافى القدمين حتى أجد قدمَىّ وقد كساهما الطين من فعل البلل والمشى على التراب فتجدان حذاء طينيا يحميهما من برد قارس أو حرارة لاسعة..!

وكان الأولاد ينادوننى سيد الكلاف ولم أع معناها إلا فيما بعد، حين عرفت أن الكلاف هو الأجير الذى يكلفه سيده بأعمال السخرة!

ومكثت مع أبا عبده سنوات طفولتى وصباى لا أعرف أبًا سوى أبوى عبده ... لكن ابوى عبده لم يرسلنى لمدرسة أو كتاب مثل أولاده حماده ووفاء يريدنى جاهلاً؛ لأطيع سيدى طاعة عمياء يرهق جسدى طوال النهار ويرمى لى بفتات الطعام ...!

كانت وفاء الطفلة البريئة عند عودتها من المدرسه يصادف عودتى من الغيط بنقلة تراب على الحمار لأفرشها فى أرضية

الزريبة، ثم العودة مرة أخرى للغيط تقف تحدثنى عن المدرسة وما تأخذه وتعطينى باكو بسكويت المسلم لها بالمدرسة لأنها لا تحبه! تقولى كله انت يا سيد انا جايبهولك. كنت أشعر بإحساس غريب نحوها لا أعرفه وعندما كانت تراها أمها كانت تنهرها!

يريدنى سيدى كالحيوان ألغى عقلى؛ حتى الصلاة ومعرفة دينى لم أعرف عنهم شيئا أسمع أذان الفجر وطوال النهار فى الغيط وعند عودتى أسمع أذان المغرب وقبل نومى أسمع أذان العشاء لا أعرف أى شىء عن الصلاة ولا كيفية الطهارة للصلاة وأنا من أنا ألبس جلبابًا رثًا متسخًا لعدة أيام .. بل أسابيع. نفسى أكون نظيفًا لكن كيف! لم أذق طعم اللحم إلا فى المناسبات والعيد الكبير!

وتمضى الأيام بقسوتها إلا ببصيص حب بينى وبين وفاء لم يتعد العطف من ناحيتها ونسج قصص من خيالى من ناحيتى لكن هل تلتقى السماء بالأرض هذا تفكير أهوج يعتريه السخرية من الأقدار..

يأخذنى أبالحاج عبده إلى البندر لعمل بطاقة شخصية فى السجل المدنى لأستعد لدخول الجيش نفسى أدخل لأكون راجل ملو هدومه وأنا شكلى يوحى بأنى ابن ناس بس لو نظفت شوية

لكن تعاندنى الدنيا وأعفى من الخدمة بعد سعى أبالحاج عبده من خلال عضو البرلمان ودفع مبلغ من المال مقابل حصولى على هذا الإعفاء.. ليه يا بالحاج.. نفسى أخرج من هذه القرية الظالم أهلها.. نفسى أنسى أنى الكلاف ابن الكلاف الذى عمل أجيرًا فى هذا البيت الموروث عن عدة أجيال.

وسيطرت على فكرة الهروب من هذه القرية؛ لكن كيف تنفذ وأنا لا أعرف أى شىء خارج هذا المكان الضيق حتى سمعت فى إحدى جلسات رجالة عيلة أبا الحاج فى اجتماعهم المعتاد كل شهر أحد شباب العيلة وهو محامٍ يقول أنا مسافر بعد أسبوع. بعد أن انتهى الاجتماع خرجت وراه وانا متخفى ودار الحديث بيننا.

محروس بيه.. محروس بيه..

أيوه يا سيد عاوز ايه..

عاوز اسافر

تسافر فين يا سيد ..

انا عارف اسافر معاك وخلاص

انا مسافر الاردن انا شغال هناك.

اسافر معاك والنبى ياسى محروس

بس هتشتغل ايه..

ايتها حاجه انا اشتغل فى اى حاجه.

والله ممكن انت شاب قوى .. هو انت معاك جواز

لا لسه مجوزتش ..

لا يا سيد جواز سفر عشان تعرف تسافر.

لا طبعا

بكره اخدك وننزل نعمله فى البندر.

بس اوعه تقول للحاج..

امال هتسافر ازاى..

قبل السفر هبقه اقوله..

ماشى يا سيد بكره ان شاء الله.

وأستخرج جواز السفر وأدفع مبلغًا من المال لمكتب السفريات الذى عرفنى عليه سى محروس وسافرت بعقد بوظيفة عامل زراعة بعد أن وافق أبالحاج وودعني حماده وحلم حياتى وفاء التى ما زالت تدرس ربنا يوفقها...

ووصلت للأردن بصحبة محروس المحامى وعملت فى إحدى الشركات الزراعية وربنا كرمنى قوى خلال السنة الأولى

وأحبنى الجميع وفور انتهاء العقد وقبل تجديده عرض على محروس السفر لأوروبا.

ايه اوروبا دى كمان يا سى محروس .

بلاد الأجانب. حاجة تانية..

هو انا بعرف اقرى عربى لما عاوزنى اسافر بره

ملكش دعوه ياسيد هنسافر سوا ... جهز بس الفلوس و...

ولم تمض أيام حتى غادرنا الاردن وتوجهنا إلى هولندا عبر عدة دول وبعد معاناة فى الهرب من بوليس كل دولة ندخلها ونخرج منها متنقلين بأكثر من وسيلة انتقال: آتوبيسات مرة وعربيات ملاكى مرة، حتى ركبنا القطار الدولى...

واستقر بى الحال فى الجنوب فى إحدى المزارع الكبرى هناك وتركنى محروس ليعمل هو فى العاصمة آمستردام وأصبح عملى ونومى داخل المزرعة ممنوع علىّ الخروج حتى لا يقبض على ويرحلونى رجعت كلاف مرة تانية بصورة مودرن صورة أوروبية، لكن مع فرق كبير بين النومة والمكان والاكل والشرب والوجه الحسن والفرجة على التليفزيون اللى بيعرض كل شىء وكله مباح.

وتمر الأيام والشهور والسنة الأولى، وأنا أتقدم فى عملى وأتعلم اللغة الهولندية وأتحدث بطلاقة، لكننى لا أعرف اكتبها...

وتنقطع صلتى بمحروس لا أعرف عنه أى شىء وعلمت بعد ذلك أنه تم القبض عليه وترحيله إلى مصر بعد عدة شهور قليلة، ويزداد حرصى على المكوث داخل هذه المزرعة ويثق فى صاحب المزرعة لدرجة انه كان يترك لى كل شىء فيها كأنها ملكى ويسافر هو لفترات طويلة يقضى أعماله وهو مطمئن...

وفى أحد الأيام كان صاحب المزرعة خارج هولندا ووصلت إلى المزرعة ابنته، جمال غير عادى حدثتها بلغتها:

أهلا ياست هانم

انت اسمك سيد بابا كلمنى عنك كثير...

وحضرتك ماريا عايشه فى باريس... باباكى قال لى...

انت مصرى قوى ياسيد شاب فرعونى قوى البنيان...

متشكر يافندم. أنا تحت أمرك.

لما تخلص شغلك ياريت تيجى تقعد معايا فى الفيلا بالليل

فيه حاجه أقدر أقوم بيها ياست هانم..

هتسلينى وتحكيلى عن مصر ابقى تعاله بس.

حاضر..

ولم تمض عدة ساعات وبعد أن أنهيت أعمال المزرعة ذهبت إلى الفيلا الموجودة بجوار المزرعة.. دخلت لأجد ماريا ترتدى ثوب شبه عارٍ يفوح منه عطر، لأول مرة فى حياتى أنتعش من رائحة محببة للنفس..

تعالى يا سيد اقعد هنا.

انا قاعد هنا كويس يا ست هانم.

بلاش هانم دى وتعاله جنبى هنا... خد اشرب الكاس ده.

لا أنا بشربش...

انت مجوزتش يا سيد ولا مرة..

لا يا هانم ولا مرة..

ولم تمض ثوانٍ إلا وثارت ثورة الثور الذى حبس سنوات طويلة.. لقد دخلت عالمًا جديدًا من المتعة الحرام ومع من!

مضت ساعة وكأنها عطشى مثلى... أرض جرداء تتشوق لقطرة ماء فتدفق إليها ينابيع المياه...

وبعد ان هدأت سريرتى وعاد عقلى لى ندمت على فعلتى هذه

انا آسف يا هانم... هيه الظروف اللى وصلتنى لكده...

آسف على ايه؟ انا اللى عاوزة كده... يالك من مصرى بارع..

تقصدى يا مارى انك مبسوطة...

قوى ... ومش ممكن اسيبك انا ما صدقت لقيتك...

لا يا مارى انا معملش حاجة حرام تانى... كفاية كده...

انا عارفة انت عاوز إيه... أنا موافقة على الجواز منك..

بس انتى وانا...

سيد انا اتجوزت مرتين ولم اجد ما وجدته عندك انت حاجة تانية

والشغل يا مارى وابوك..!

انا الشغل وانا صاحبة الشغل المزرعة بتاعتى أنا وانا حرة أجوز اللى انا عاوزة اتجوزه... بكرة نعلن جوازنا فى الكنيسة...

وأصبحت زوجًا لماريا للدكتورة ماريا أستاذة فى جامعة السربون كما قالت لى وعرف الجميع أننى الآمر الناهى فى كل شئون المزرعة وأمام لحظات السعادة لمارى وتجديدها وتنويعها وهذا هو الذى أجيده وهو موهبة ونعمة من الله قد حبانى بها ويزداد رزقنا فنشترى مزرعة أخرى مجاورة لمزرعتنا يتبعها شراء مزرعة أخرى، ثم بناء مصنع للألبان، وآخر لصناعة اللحوم..

وخلال عشر سنوات كان سيد الكلاف من رجال الأعمال الهولنديين بعد أخذ الجنسية فور زواجى من ماريا منذ سبع

سنوات مضت واستخراج جواز سفر هولندى أتحرك به فى أى مكان..

ذهبت إلى معظم مدن أوروبا بصحبة ماريا ومكثت فترات فى باريس عندما كانت زوجتى تلقى محاضراتها...!

أنا سيد الكلاف الذى لم يخرج من قريته إلا بعد بلوغه سن الشباب زار معظم بلدان العالم الأوروبى والآسيوى وأمريكا وكندا، وأجيد أكثر من لغة أجنبية ولا يكتب العربية..!

ولم تكتمل سعادتى بإنجاب زوجتى طفل لى... أريد أكثر من طفل نفسى يكون لى عيلة كبيرة...

ويسيطر على فكرى ضرورة العودة الى مصر بعد غياب ما يقرب من عشرين عامًا... لكن لمن أعود بعد انقطاع أخبار القرية عنى وانتهزت فى أحد حواراتى مع زوجتى أن نفتح فرعًا لشركتنا فى القاهرة ووافقت وقررت سفرى لوحدى لانشغال زوجتى فى الجامعة ووجودها فى باريس فى هذه الفترة..

وعدت إلى القرية بعد غياب عشرين عامًا لقد تغيرت معالم القرية توفى أبوى عبده وأمى الحاجة وتزوج حمادة ورزقه الله بالولد والبنت وتزوجت وفاء ومات زوجها قبل أن تنجب ورفضت الزواج بعد ذلك وتعمل مدرسة فى المدرسة الإعدادية القريبة من البلدة...

واشتريت عشرين فدانًا فى بلدتنا وشيدت فيلا على أعلى مستوى داخل هذه الأرض وبنيت مستشفى لأهالى قريتى وقررت استثمار أموالى داخل محافظتى خاصة قريتى..

وعند زيارتى لمنزل أبوى عبده الذى هدم وبنى مكانه عمارة يسكنها أولاده وأزواجهم وأولادهم وعندما قابلت وفاء على انفراد دار الحديث بيننا...

حمد لله على السلامة يا أستاذ سيد.

استاذ ايه يا استاذة وفاء انت اللى أستاذة قولى سيد بس

ما يصحش يا...

انا قلت إيه...

انت طيب وكنت عارفة ان ربنا هيرزقك وهيكرمك.

انت اللى بنت حلال يا وفاء..

عندك أولاد أد إيه يا سيد...

انا معنديش أولاد وعرفت إن جوزك توفى ...

الله يرحمه...

وليه مجوزتيش تانى بعده...

الظروف .. وحاجات خاصة بيه...

وفاء انت عارفة انا حبيتك وانتى لسة طفلة بس ما قدرتش انطقها وانت عارفة كان ايه هيحصلى..

انا عارفة يا سيد...

مش عاوز اضيع وقت تانى من عمرنا انا عاوز اجوزك ..

مش انت متجوز يا سيد وبتحب مراتك...

هيه حاجة وانت حاجة تانية بس وافقى...

ومراتك يا سيد...

مش هتعرف. آنا هسافر ليها شوية واجيلك هنا معظم الوقت بحجة مباشرة أعمالى هنا...

ويتم زواجى من وفاء بنت آبوى عبده وأقنع حمادة أخاها بترك عمله الحكومى ليدير أعمالى هنا فى مصر وأترك زوجتى وفاء فى فيلتها داخل العشرين فدان وأعود إلى هولندا لماريا...!

وتنجب وفاء الولد والبنت ستة أولاد أربعة صبيان وبنتين. سعدت بهم أرهقت وفاء فى خلفتهم لكن كان معها من يخدمها ويرعى اولادى..

وتتوفى زوجتى ماريا وأحزن عليها وعلى أيامها الجميلة ووقوفها بجانبى وآن الله ـ عز وجل ـ جعل سعدى على أيديها..

لكن هكذا الدنيا...

وكان على آن أوازن بين مباشرة العمل هنا فى مصر والعمل فى هولندا ولأول مرة اصطحبت زوجتى وفاء والأولاد إلى

الخارج وحصولهم على الجنسية الهولندية مع الاحتفاظ بالجنسية المصرية أصبح لى أسرة كبيرة أسعد بها رغم وصولى من العمر أرذله لقد مضى قطار العمر..!

ولم أنس ما عانيته فى بدايتى فشيدت مبنى على أعلى مستوى خدمى تضم داراً لرعاية الاطفال الغرباء وفاقدى الأسرة والأيتام ملحق بالمبنى عدة ورش صغيرة لتعلم من يريد صنعة..

وبجوار هذه الورش معرض يعرض منتجات هذه الورش وأصبحت من كبار رجال الأعمال فى المحافظة وأمام إلحاح أهل المنطقة رشحت نفسى لعضوية مجلس الشعب ووفقنى الله وأصبحت أمثل أهالى منطقتى...

وكنت خير ممثل لهم...

نعم ربى لا أكاد أحصيها زوجة فاضلة وأولاد ومال وصحة وحج كل عام وعمرة أكثر من أربع مرات فى العام وحب الناس لى وسعادتى أكثر فى خدمة الناس..

لقد ذقت فى هذه الدنيا عذابها وعذبها وأدعو الله أن يحسن خواتيم أعمالنا وأن نترك الدنيا وهو راضٍ عنا...

آمين يا رب العالمين...

الرابعة فجر يوم الجمعة

٢٠٠٧/٣/٢م

إيزادور المصرية

صاحبة قوام ممشوق ووجه به انف وشفاه كانه حبات من الرمان فى بشرة بيضاء صافية وعيون زرقاء ناعسة تحمل كل معانى الدلال والأنوثة تلمع ببريق أخَّاذ كانها منارة تبرق بين الثانية والثانية تهدى سفن العاشقين والتائهين والمبحرين تحت رحمة الأمواج والأهواء فى الليل الفارق فى الوحشة المظلمة...

يزين هذا الجسد الممشوق ذا الخصر النحيل شعر ذهبى طويل ينسدل على ظهرها يتطاير بخفه وأرجحة على كتفيها ويعود فى سيمفونية رائعة تشدو بنغمات صوت ناعم رقيق لا تقوى على مقاومته فتستسلم بلا قيد أو شرط ... يلف هذا الجسد ثوب أسود محتشم يضفى عليه جمالاً وحلاوةً وطلاوةً أصبحت أمنية حديث كلية الطب الطلبة والطالبات وأعضاء هيئه التدريس حورية أتت من الجنة لتشفى أمراض البشرية.. فهل تستطيع أن...!

جذبت عيون الفتيات قبل الفتيان ببهاء طلتها بمجرد دخولها أى مكان... يا سبحان الله! يا عظمة خلقك!

للمرة الأولى أرى من تفوقنى جمالاً رغم تفوقى على الكثيرات والكثيرات من الفتيات ومع هذا لا أغار منها بل أحببتها وتمنيت أن تكون صديقة لى..

لكن جو الجامعة لا يجدى معه الاندفاع وإنما لا بد من التريث والتعقل... حتى جمعتنى الصدفة بالجلوس بجوارها فى إحدى المحاضرات ودار الحديث بيننا أستمع إليها أكثر مما أتكلم لأستمتع بهمسات صوتها وادخره ليعيننى فى كتابة قصائدى الشعرية عندما أغوص فى بحور بلا شطآن عند جلوسى مع نفسى والناس نيام لا يصدقنى عقل عندما اصف أمنية بأننى فتاة مثلها...

لأول وهلة يحسبنى الكثيرون بأننى شاب يتغزل فى جمالها لكنها الحقيقة لقد أحببتها وانجذبت إليها كصديقة كأخت لى.. اقتربت أكثر من أمنية لأكتشف أن هذا الجمال وهذه الانوثة المتوهجة يكسوها رومانسية روحانية لم أقابل مثلها فى رقتها وحلاوة حديثها!

نشاط وحيوية وحب الناس واعتزاز مع تواضع جمّ، وتمر الأيام والشهور والسنون وتزداد علاقتى بأمنية حتى أصبحنا

أكثر قُربًا تُلغى وكل من حولنا يشهدون بذلك... ويحوم حولنا الكثير من الطلبة وبعض أعضاء هيئة التدريس؛ كل يتفانى فى التقرب إلينا؛ منهم من يتفنن فى اقتناء أحدث موديلات الأزياء وماركات العربات ولبس السلاسل والانسيال... الخ...

وكل هذا لا نعيره أدنى اهتمام كيف ذلك يا طلبة الطب؟ هذه أشياء يهتم بها طلبة الكليات النظرية...!

وتنتهى السنة الأولى والثانية ونحن فى تفوق وتسابق من العرسان للفوز بإحدانا ونحن نرفض فى انتظار فارس مغوار... فارس الأحلام ننسجه فى خيالنا ... مَنْ هو...؟

انت عارفة يا منال نفسى ف واحد يحبنى واحبه ويعرف معنى الحب

وايه هو معنى الحب فى رأيك يا أمنية؟

ياه يا منال... معنى كبير قوى... الرومانسية بكل ما تحمله من معانى جميلة احتواء نفسى وروحانى بمجرد وجودك جنبه علاوة على الحنية والمعاملة الرقيقة المتبادلة...

كلمة حلوة من القلب لمسة معبرة عما يجيش فى نفس الحبيبين، ثم تتركى باقى الحواس لتعبر بتلقائية لنصل فى النهاية لمنظومة تأتى بثمرة لم نذق طعمها من قبل وثمرة متجددة الأشكال متطورة اللذة...

جو تانى خالص يا منال...

الله كلامك حلو قوى يا أمنية كملى انت عيشتينى ف جو تانى...

عاوزة تعرفى ايه...

قصدى شكله وظيفته .. عائلته... مركزه المالى... الخ

الشكل ميفركيش يا منال ممكن يكون شكله حلو وداخله شيطان رجيم يبقى نقمة والعياذ بالله المهم زى ما قلت لك انه يحبنى واحبه.. آه معاكى حق شكله مقبول ووظيفته مقبولة وأخلاقه كويسة لكن بعد كده مفيش مشكلة، الخير كتير وانتى عارفة أخوى مسافر أمريكا وانا وبابا وماما والمستشفى والعيادة بتاعة بابا وماما والفيلا اللى احنا عايشين فيها وفيلا ليه وفيلا لاخويا عاوزة ايه تانى...

عاوزة راجل يستهلك يا بخت اللى هيجوزك يا أمنية

عشان انا غنية يا منال..

لا يا حبيبتى مش قصدى انت حاجة تانية خالص.. كلك على بعضك حلوة يا ريتنى كنت ولد مكنتش اسيبك..

الله يخليكى يا منال... يا ترى زوجك هيكون ايه وزوجى هيكون إيه ويا ترى هنكون سعداء زى ما احنا عاوزين..!

الله اعلم ... يا ترى نصيبنا ايه...

نصيب قل ان شاء الله.

والله انا خايفة يا منال..

خايفة من ايه يا أمنية..

خايفة من بكره.. من المجهول.. الأيام اللى جاية مش عارفة...

ان شاء الله الايام اللى جاية أحسن يا أمنية..

الانسان منا يا منال ما بياخدش كل حاجة..

وانا ربنا ادانى كل حاجة.. مال وجمال وحب الناس خايفة يكون الزواج هو جزء الحرمان هو عذابى وشقائى فى الدنيا...

يا شيخة بلاش التشاؤم ده..

لا والله يا منال. أنا حاسة إحساس غريب انى مش هكون سعيدة فى حياتى الأسرية..!

بكره أفكرك يا أمنية بالكلام ده وانتى سعيدة مع زوجك وفرحانة بأولادك وبأحفادك..

ياه يا منال أحفادى كمان.. انت متفائلة قوى..

أيوه متفائلة.. قومى... قومى ياللا نراجع شوية عندنا امتحان بكرة يا دكتورة وعمالة تتكلمى بتشاؤم لأول مرة اسمعه منك.. فين التفاؤل بتاع أمنية.. ياللا... ياللا..

وتنهى امتحان السنة الرابعة وتخطب أمنية فى سنة الامتياز لرجل أعمال شاب... خطوبة تقليدية عن طريق الأمهات عندما بُهرت أُمّه بجمالها فى إحدى حفلات قران قريبتهم وارتاحت لها... لأنها ستتباهى بها وسط عائلتها... فهى جميلة غنية وطبيبة ومتأصلة.. وأما أمنية فكيف ترفض مهندسًا شابًا وسيمًا خريج الجامعة الأمريكية... له شخصية واسم فى السوق..!

وتتزوج أمنية فى أرقى فنادق مصر أقيم حفل عرسها كان من أرفع الأفراح تنظيمًا وشكلاً وبذخًا وتطير وعريسها لإحدى جزر شرق آسيا لقضاء شهر العسل...

وقبل أن تعود أمنية من شهر العسل أدخل قفص الزوجية بزواج تقليدى أيضًا طبيب يكبرنى بعشر سنوات أو أكثر، صعيدى المنشأ، تربى فى أسرة تقدس الحياة الزوجية شغلته أبحاثه الطبية عن موضوع الزواج فرضيت به لأرضى غرورى وأتزوج كما تزوجت أمنية.. وتزوج أمثالنا وتمضى الأيام الأولى بحلوها ونتناسى صعوبتها فى أشياء كثيرة نتغاضى عن ذكرها وتحكى لى أمنية وأحكى لها أشياء ونتحفظ فى الحكى عن أشياء كثيرة معتقدين أنها فردية مخجلة لكنها فى حقيقتها أشياء مشتركة حتى جاءتنى أمنية ذات مرة تشتكى لى همها بعد أن مر على زواجنا ما يقرب من عام ونصف.

انا تعبانة قوى يا منال...

حاسة بفراغ عاطفى قوى يا منال..

يا ستى بكره تمليه لما تخلفى ولد أو بنت حلوة زى كده..

أنا بكلمك بجد يا منال ... عمره ما قال لى كلمة حلوة.. عمره ما خد باله من جمالى ولا لبسى ولا تسريحتى كل همه الفلوس واسمه فى السوق وحفلات العمل وكأننى دمية يريدها معه لتكملة المنظر الاجتماعى...

نفس الكلام يا حبيبتى انتى جوزك على طول ملخوم طب أنا اعمل ايه نفس الموضوع هو طيب وكل حاجة لكنه بيعرفش... متعودش.. بيعتبرها عيبة ..

حتى حقك الشرعى يا منال... تحسى...!

استغفر الله العظيم من كل ذنب صعب اكلمك فيه أهو اشباع رغبة رضائية حيوانية فى نظره..

يا أمنية دى ثقافة ومهارة مش اى راجل يجيدها انت عارفة يا دكتورة المرأة آلة موسيقية جميلة تحتاج إلى عازف ماهر ليخرج لحن جميل يمتع صاحبه...

ومنين اجيب العازف الماهر... أنا خايفة الآلة تصدى.

ربنا يسترها يا أمنية..

حقيقى يا منال أهمية الحب والعشق بين الطرفين بينتج لحن يعيش مدى الحياة.. مش النشاز اللى انا عايشاه...

حاولى يا أمنية تتحملى عشان خاطر اللى فى بطنك ده

وانت عاملة ايه فى حملك والدكتور عامل معاك ايه

عامل معايا ايه.. خلى الطابق مستور... انا يا بنتى متحملة أكتر من اللى انت بتحكيه ده... اسمعى يا ستى...!

ازاى يا منال الكلام ده يحصل من رجل متعلم...

مش بقولك خلى الطابق مستور... عشان كده أنا محتاجة لطفل أو طفلة ينسونى همى وتعبى مع ابوهم

ياه يا منال د انا بحسبك سعيدة ومش عاوزة اعكر سعادتك بحكاويا اتارينا فى الهم سوا...

والناس فاكرة اننا سعداء... منين نجيب السعادة..؟

ويرزقنى الله ببنوتة حلوة اسميتها أمنية ويرزق الله أمنية بولد اسمته جميل ورث جمال امه كله وتستمر الحياة بحلوها ومرها ويرزقنا الله بالمولود الثانى.

بنت جميلة لأمنية أسمتها منال وولد لى أسماه أبوه عبد الله.. أصبح أولادنا هم كل حياتنا أسلوب تربيتهم ومحاولة إسعادهم...

رتم الحياة يسير ببطء وملل... العمل طوال النهار فى المستشفى، ثم العودة إلى مطبخى المزدحم بالكثير من الأعمال وتجهيز الأكل قبل قدوم زوجى حتى لا يتحفنى بعدة كلمات من العيار الثقيل التى أستحى أن أقولها ولم أسمعها من قبل ثم أستريح عدة دقائق لأقوم لاستذكر دروس الأولاد حتى أصل إلى سريرى منهكة لا أبغى سوى الراحة من عناء اليوم...

فينقذنى النوم العميق من أشياء يبغيها جسدى الثائر وتنشدها روحى العطشى ويتهرب منها زوجى بحجج متعددة ومتنوعة حتى مللتها واعتدت الإهانة عند طلبها بدل المداعبة والملاطفة قسوة واستياء من فعلته وكأنه يقضيها فى الحرام وليس حلاله فيأتيها متسرعًا متقززًا لأقوم جوعى وأكثر تقززًا حتى فضلت الصيام عن طعام وشراب فحواه سراب!

فجف ريقى واشتكت معدتى دون استجابة..!

أصبح التليفون هو وسيلتى للاطمئنان على أمنية واللقاء على فترات متباعدة إما فى النادى إما فى مستشفى والدها إما فى فيلتها بالمهندسين ويزداد الفراق بينى وبين أمنية يسافر زوجى للعمل فى إحدى الدول العربية ولا بد من مصاحبته أنا والأولاد بعد فشلى فى إقناعه بتركى هنا وأرضخ لأمر زوجى ونسافر لعدة سنوات تبادلت الخطابات مع أمنية علاوة على

التليفونات المتبادلة كل أسبوع وأشياء تذكر فى ثنايا خطاباتها لم أفهمها... أدعو الله أن ينهى أيام سجنى فى الخارج بسلام...لا أرى الشارع إلا مع سجانى وكان سلواى الوحيدة أولادى ومذاكرتى لهم لانشغال زوجى فى عمله الذى يعشقه..!

حتى نومى فى أكثر الليالى كان فى حضن أولادى...!

ويفرج عنى ونعود الى بلدنا وأهلنا وأحبائنا وأختى أمنية وكان اللقاء بعد العودة.

وحشتينى قوى يا أمنية..

وانت اكثر يا منال..

عاملة ايه احكى لى..

تعبانة قوى يا منال مش قادرة استحمل بدأ يمد ايده ويضربنى قدام العيال عندما يشتد النقاش.

وصلت للضرب يا أمنية..

وشتائم يقشعر البدن من سماعها...

ايه اللى وصله لكده..

بقى عصبى قوى يا منال وكل ما يحس بعجزه يمد إيده ويرجع يتأسف ويكررها تانى..

استحملى يا أمنية عشان خاطر الأولاد..

لحد امتى يا منال أنا خلاص مش قادرة..

شوفى أد إيه كنت بحب الحياة والناس أيام الجامعة دلوقتى كارهة كل شىء حتى الحياة.... أستغفر الله العظيم بتمنى الموت أحسن من العيشة دى...

مفيش حد مستريح يا أمنية امال انا أقول أيه فى أيام الغربة ولما جينا وانا فى حرمان مستمر وياريتنى عاجبة والناس حاسدنى على ايه... ربنا يعلم...

يا خسارة يا منال احنا الاثنين ربنا حبانا بالجمال ورقة الأحاسيس والعطاء الفياض لكن للأسف مالقيناش النصف الآخر لنمو هذه المشاعر والأحاسيس..

الحمد لله يا أمنية ربنا يبارك لنا فى أولادنا وخلاص...!

طب واحنا يا منال أحلى أيام عمرنا وشبابنا بيضيع والعمر بيجرى .. وطب وآخرتها... وادى الجواز اللى كنا بننتظره ونعد له العدة...!

ليكى حق يا أمنية الواحدة منا كانت بتنسج قصص رومانسية جميلة مع فارس الأحلام زوج المستقبل ...

خليك انت تكتبى قصص انت نفسك محرومة منها...

حتى الكتابة وقصصى ومؤلفاتى الشعرية والأدبية خايفة عليها منه..

خايفة من ايه..؟

لو رآهم الدكتور هيطلقنى على طول..

كويس انه مالوش فى الأدب...

ما لوش إلا علمه هو شاطر فيه قوى... وبس..!

وانت هتعملى إيه دلوقتى يا منال...؟

هرجع الشغل تانى وبفكر افتح عيادة..

عاوزة أخرج وأقابل الناس مش طايقة أقعد فى البيت عاوزة احس بالحرية واشم هوا جديد..

ربنا يوفقك يا منال وتشمى هوا جديد زيى...

انا حاسة من كلامك فى الجوابات ان فيه حاجة جديدة..

حاجة ايه يا منال..؟

هتخبى عن اختك منال..

لا طبعا من ساعة ما سافرت من حوالى سنتين جالنا طبيب مصرى ريفى كان بيدرس فى الخارج وحاصل على الدكتوراه فى الجراحة..

ماله يا ستى بقى..

حصل انجذاب غير عادى من الطرفين حبنى وحبيته من أول لقاء؛ من أول عينه ما وقعت عليه شاب يتمتع بكل صفات المصرى الأصيل..!

احكى لى احكى لى متجوز ولا مش متجوز..؟

مطلق ولا أعزب عنده أولاد ولا... احكى لى...

بالراحة يا دكتورة هقول لك على كل حاجة وهخليك تشوفيه هو شغال معايا فى المستشفى.. ومش متجوز يا ستى كان مأجل الجواز لبعد الحصول على الدكتوراه... هو من قرية فى الشرقية...

وازاى ده حصل...؟

انت عارفة جوزى وصلنى لمرحلة اليأس من الحياة

عارفة..

وجدت بلسمى كلمات معسولة لاول مرة اسمعها احكى له ما يدور فى بيتى من شجار مع زوجى يريحنى ويخرج معى نروح أماكن أول مرة أروحها.

وجوزك وعيالك...

مالهم! جوزى على طول مسافر والأولاد بيذكروا والشغالة مقضيا لهم كل حاجتهم وانا معاهم دايما بالليل...

المهم يا حبيبتى حاسبى على نفسك وعلى بيتك

ماتخافيش يا منال ..

انا همشى عشان اتأخرت...

وأترك أمنية وانا خائفة مما حدث لها من تعلقها بهذا الشاب الريفى المثقف هل يضحك عليها..؟ هل يتسلى بها؟ أم الانجذاب حدث من الطرفين...؟ وهل حدث حب حقيقى بينهما..؟ طب وزوجها وأولادها...؟ هل تعددت اللقاءات الخارجية بينهم إلى لقاءات داخل شقتها التى تمتلكها فى أماكن خارج القاهرة..؟ ربما. هل تخون زوجها حتى ولو لم تفعل شيئًا؟ حتى مشاعرها تجاه فرد آخر.. ربما يكون حدثت أشياء تخجل أمنية من ذكرها. سنتين فترة طويلة لعلاقة عطشة ملتهبة بكل مشاعر الحب...

أفكار راودتنى حتى وصلت إلى شقتى وأخرجنى صوت زوجى المرتفع وهو ينهرنى بالتأخر خارج المنزل ليحطم ما بقى من مشاعر له يعوضها على الفور احتضان أولادى لى مع تقبيلى بحب وحنان..!

وتمضى الأيام بحملها الثقيل أحاول أن أتناسى ما أنا فيه بانشغالى فى عملى وخدمة الناس الغلابة بافتتاحى عيادة فى

منطقة شعبية أعالج الفقراء مجانًا فى أيام معينة... وعملى المنزلى ومذاكرة الأولاد والتفانى فى إرضاء زوجى لعل وعسى أن يغير معاملته لى...!

وتتصل بى أمنية لأقابلها فى النادى... وذهبت للقاء...

منال انت عارفة أنا بعزك أد ايه...

عارفة يا أمنية... خير يا حبيبتى..

انا قررت اطلب الطلاق...

يانهار اسود.. هيه وصلت لكده يا أمنية..

عاوزة اعيش بالحلال مع الإنسان اللى بحبه..

وجوزك وعيالك..؟!

جوزى انت عارفة من البداية انا مش معاه، والأولاد هيقعدوا عند ماما...

ماتتسرعيش يا أمنية..

أنا خلاص خت القرار هطلق واتجوز سعد..!

اسمه سعد..؟

ايوه.. هتجوزه وهنعيش فى شقة الزمالك انت عارفة أنا مجهزاها نفس مستوى الفيلا...

يمكن سعد ده طمعان فى فلوسك..

لأ يا منال انت لما تشوفيه وتقعدى معاه تبقى مش عاوزة تسيبيه ولا تقدرى تقومى من أدامه د انا مش عارفة اشتغل فى المستشفى طول ما هو موجود..

للدرجادى يا أمنية..؟!

ايوه يا منال بقالنا سنتين ونصف دلوقتى طول النهار مع بعض وبالليل بالتليفون والتليفون مش نافع مش قادرة أبعد عنه ولو ثانية... عاوزاه أدام عنيه اسمع كلامه الحلو اللى بيطلع من بين شفايفه ولمسات إيده الساحرة... لدرجة انى بغير من عينيه... عاوزاه ليه بس.. بحبه بجنون يا منال...

مش عارفة أقولك إيه يا أمنية..

تقولى لى مبروك... هو احنا هنعيش مرتين هيه مرة واحدة لنعيش ونستمتع بحياتنا يا اما نموت أحسن..

بعد الشر عليك يا حبيبتى.. خلاص يا أمنية اللى انت شايفاه فى صالحك اعمليه...

وتطلق أمنية، وتترك الفيلا بما فيها لزوجها وأولادها، وتذهب إلى إحدى شققها التى تملكها لانتهاء فترة العدة وليجمعها مع حبيب قلبها سعد...

وحكى زوجها لأولادها قصة حب امهم مع زميلها فى المستشفى... وتركها لهم من اجل هذا الحبيب ليشوه صورتها

أمامهم والأولاد حائرون بين هذا وذاك واستقر بهم الحال عند جدتهم...

وتنتهى فترة عدتها وتزداد قربًا من سعد حبيب القلب ويتفقان على يوم الخميس القادم لإتمام الزواج..

وذهب الدكتور سعد يوم الأربعاء لعمل عملية جراحية فى مدينة الفيوم وعند عودته تنقلب سيارته فى حادث مأسوى وينتقل لرحمة الله فى دقائق معدودات...

وتصدم أمنية بما حدث لقد خاصمتها الأيام..

امتنعت أمنية عن الطعام واعتزلت الدنيا بكاملها المستشفى والناس... حاولت معها بكل الطرق أن تأكل أقل القليل ليعينها على مواصلة الحياة..

وأقنعتها بالإقامة فى فيلا والدتها مع أولادها حتى تجد من يخفف عنها..

حزنت على ما حدث لأمنية وكنت أواسيها بالتليفون أو بالذهاب إليها فى بعض الأوقات لإرغمها على الأكل الذى تمتنع عنه بالأيام. لقد زهدت الدنيا بزخرفها..!

ظلت أمنية خلال عدة شهور فى اضمحلال نفسى أثر فى صحتها حتى أصبحت كالهيكل العظمى؛ شحوب فى الوجه

الجميل وفقدت عيونها بريقها وظهرت الهالات السوداء حولها..!

ودار الحديث بيننا..

وبعدين يا أمنية انت كدا هتموتى..

يا ريت يا منال انا عاوزه اموت هو انا طايلة..

مش عاوزة اعيش... انا عاوزه اروح له.. حياتى من غيره جحيم...

هتروحى له فين يا دكتورة سعد مات والحى أبقى من الميت.... انتى غلبتى ايزادورا الفتاة الرومانية والضابط المصرى الشاب أروع قصة حُبّ عاشت ومازلت على ضفاف النيل.

والله انا مش فايقة يا منال اسمع حاجة. انا تعبانة قوى..

لا والله لحكيها لك يا أمنية..

دى أجمل قصة حب عاشت على ضفاف النيل من عشرين قرنا من الزمان..

احكى يا ست منال ما انت شاعرة وأديبة مش دكتورة بس..

أيوه كده يا أمنية... اسمعى يا ستى..

ايزادورا الفتاة الرومانية حفيدة القياصرة والأباطرة أحبت فتى مصرى اسمر الجبهة زى اخونا سعد الله يرحمه..!

أرجوك يا منال بلاش...

أنا آسفة خلاص هكمل الحكاية لما عرف أبوها الحاكم الرومانى حبسها فى غرفة مظلمة فى قلعة داخل جزيرة بلا شاطئ..

فهربت ذات ليلة عاصفة من القيود والحراس وركبت زورقا للقاء حبيبها الفتى المصرى .. المجهول مكانه لكنها لم تصل إلى حبيبها..

لقد جرف التيار الزورق فغرق وغرقت معه ليبتلعها اليم...

أنا نفسى أكون زيها واموت يا منال. أنا هكون زيها بس مفيش زورق ولا مية لكن فيه الامتناع عن الأكل غصب عنى عشان اروح لحبيبى يمكن نتقابل فى الآخرة... مش ممكن يا منال؟

الله أعلم يا دكتورة..!

أنا خايفة عليكى قوى يا أمنية..

أنا بحكيلك حكاية ايزادورا الرومانية عشان تفوقى لنفسك وتاكلى وتعيشى عشان نفسك وعشان مرضاك وأولادك، وإيه يعنى لما ترجعى لجوزك تانى يا أمنية..!

لو سمحت يا منال ماتجبيش سيرته أدامى..!

هو السبب.... هو السبب... منه لله..... منه لله...

خلاص يا أمنية ما تبكيش أنا آسفة.. مش هجيب سيرته تانى..

عيشى يا ستى عشان شبابك وحياتك انت يمكن تقابلى شخص أحسن من سعد يعوضك عن كل ده...

اخص عليك يا منال هو فيه فى الدنيا دى كلها واحد زى سعد فى رقته وحنانه وعطفه واحتواؤه وكلماته الجميلة... أصل انتى ماسمعتيش كلامه.. أصل انت... ولا حسيتى... ولا استمتعتى..... حاجة تانية خالص..

خلاص يا دكتورة الله يرحمه وبطلى عياط.. فوقى بقى يا أمنية الحى ابقى من الميت... مفيش فايدة. أنا ماشية... وانتى حرة فى نفسك..!

وأتركها وأنا قلقة على حالها ولم تمض عدة أيام حتى يتصل بى ابنها ليخبرنى أنها دخلت المستشفى لهبوط فى الدورة الدموية ويعلق لها المحاليل التعويضية عن عدم الأكل... تمكث أيام ثم تخرج ثم تمتنع عن الأكل فتعود إلى المستشفى فى حال يرثى لها... لدرجة أنى عند عودتى من زيارتها هذه المرة قلت

لزوجى إن أمنية بتصارع الموت ورافضة ذهابها إلى أخيها للعلاج فى أمريكا... الموت هدفها..!

لا بد أن تذهب إلى طبيب نفسانى ليخرجها من حالة الاكتئاب المسيطرة عليها..

ويأتى صوت ابنتها على التليفون من المستشفى...

إن مامتها تريد أن ترانى فذهبت على الفور إلى المستشفى وأنا لا أستطيع أن أتمالك أعصابى ودموعى الغزيرة المتدفقة تسبقنى والتى أحاول أن أخفيها عن أمنية...

إنها صحوة الموت تغير لونها ولأول مرة تتحدث بعد مكوثها أسبوعا بالمستشفى بدون كلام..!

كنت أنا وابنتها منال بنت الخمسة عشر ربيعًا...

بكرة تبقى زى الفل يا أمنية يا حبيبتى..

انتى بتعيطى يا منال.. ادعيلى يا منال انا محتاجة دعاك

ربنا يشفيك وانتى مفكيش حاجة شوية ضعف بس.. ما انتى عارفة

انا خلاص هخف خالص واريحكم كلكم..

انت عاوزة تقولى لى حاجة يا أمنية..

عاوزة اقول لبنتى منال إوعى فى يوم من الأيام تظلمينى وتسمعى كلام أبوك .. انا يا بنتى .....!

عارفة يا ماما عارفة...

اسمعينى يا بنتى طنط منال هتحكيلك حكايتى.. وحياتى التعيسة مع ابوكى.. وابوكى هو السبب...!

يا ماما خلاص ماتتكلميش أنا عارفة كل حاجة. وانت هتعيشى وانت اللى هتحكيلى وانا مصدقاكى. انتى حبيبتى يا ماما ربنا يخليك ليه.. أنا محتاجة ليكى يا ماما..

لأ يا بنتى خلاص فات الأوان.. أنا هموت.. وبدعيلك يكون حظك أحسن من حظى ربنا يرزقك بواحد يحبك وتحبيه وتعيشوا سعداء..

يا ماما أرجوكى كفاية... كفاية... أنا مش قادرة...!

كفاية كلام يا أمنية انت عارفة الكلام الكثير غلط عليك.

سيبينى اتكلم يا منال يمكن دى آخر مرة آكلمك..

خدى بالك يا منال من منال الصغيرة دى برده بنتك ولا إيه يا منال... وبلاش عياط..

أرجوك انتى بلاش كلام يا أمنية..

بوسيلى أمنية الصغيرة... واحكيلهم حكايتنا

يا حبيبتى ربنا يخليك انت وتفرحى بيهم.. وتحكيلهم انت..

اسمعينى يا منال انت اختى والصديقة الوحيدة عشت معايا كل معاناتى.. اذكرينى دايما يا منال واكتبى قصتى بكل أمانة ودافعى عنى واحكى حكايتى لكل العاشقين... لكل إنسان حب وما طلش.. وقولى لهم دى كانت حكاية ايزادورا المصرية زى ما انت عاوزة تسميها، وأن الحب لا يموت أبدًا حتى لو ذهب العاشقان إلى عالم سرمدى أبدى... يبقى الحب .

ولم تمض دقائق وأنا أغادر مبنى المستشفى حتى صعدت روح أمنية إلى بارئها راضية مرضية.

هل ستقابل....؟!

هل...؟!

ربما...

هل...؟!

رحمة الله عليها....

الرابعة فجر يوم الجمعة

٢٠٠٧/٣/٩م

عفريت الكروت

عدت إلى قريتى بعد غياب سنين طويلة قضيتها فى الغربة متنقلا بين عدة دول أوروبية وأكثرها عربية رزقنا الله الكثير من الأموال...

القرية تغيرت مبانيها وتغير ناسها وضاعت ملامحها وتلاشت آثارها وتبدلت رائحتها العطرة المميزة النابعة من زهور الأشجار والزروع إلى الرائحة الكريهة من كثرة المخلفات بأنواعها وانتشار الصناعات الصغيرة العشوائية أكثرها سبائك الرصاص وحلج القطن السيىء من بقايا قطع القماش الرثة ومخلفات المستشفيات فى بقعة أرض من البلدة تسمى العكرشة..

صدمت بالواقع المرير الذى وصلت إليه قريتى التى لم تنل حظها من التطوير منذ قيام ثورة يوليو التى أجهضت أهدافها..!

لقد تغيرت خططى فى البقاء فى القرية وامتلاك قطعة أرض زراعية كبيرة وبناء فيلا فى وسطها لارتباطى بالبلدة وحرصى على ربط وزرع الانتماء فى أولادى للقرية التى تربيت فيها لكن هيهات؛ الأولاد وزوجتى لم تمض أيام قليلة وسط الأهل والأحباب إلا وطلبوا العودة إلى فيلتنا فى مدينة الشروق هربًا من الجو الخانق الذى يسود قريتنا على عكس ما كنت أحكيه لزوجتى وأولادى..

وفى المساء جلست فى صحبة إخوتى وأهلى أبناء عمومتى وأخوالى وخالاتى وعماتى ودار الحديث بيننا...

إية رأيك يا بوزياد فى استثمار أموالك بفوائد عالية قوى..

فين دى يا منصور يا بن خالتى؟

فى الكروت.

ايه الكروت دى؟

كروت الشحن.

ازاى بقا....؟

بتدفع الألف تاخذ عليه ٢٥٪ كل شهر ويمكن تبقى أكتر..

حاجة تانية يابو زياد

ايه تانى يا عاطف افندى؟

فيه صفقات كسب فيها النصف أو أكثر

النصف ايه يا عاطف؟

امال ايه يا طلعت يابن خالى

تدفع المليون تأخد مليون أده فى خلال يومين أو ثلاثة عقبال متخلص الصفقة.

ايه ده؟ دا ولا الفانوس السحرى يا ولاد

يا أستاذ أحمد البلد كلها حطت فلوسها فى موضوع الكروت...

اوع تكون حطيت فلوسك يا أستاذ محمد يا جوز اختى..

أنا حطيت حوالى نصف مليون..

نص مليون مرة واحدة جبتهم منين؟

لميتهم من أرايبى وأصدقائى وزمايلى فى الشغل وباخد مكسبى...

يا جماعة الموضوع خطير أنا مش مستريح له

لا ياخوى د كبرات البلد حطت فلوسها فيه..

زى مين كده...؟

ما نعرفش. الأسماء فى سرية تامة

مين بقى زعيم العصابة دى؟

قصدى مين اللى بيلم؟ مين بيجمع الفلوس دى؟

اللى بيلموا كثير قوى مش واحد بس

انا فاهم اكثر من واحد بس بيودوا الفلوس دى فين...؟

فيه واحد كبير قوى هو اللى بيشغل الفلوس دى..

اسمه ايه..؟

ماحدش يعرف ....

طب مين همزة الوصل بينكم وبينه..

واحد اسمه حمام...

اسمه حمام...

لا ده كان اسم الشهرة اصل زمان كان بيشترى حمام زاجل ويبيعه ويطيره فطلع عليه اسم حمام...

وده راجل كبير؟ ووظيفته ايه...؟

لا لا ده شاب لا يتعدى الاربع والعشرون ربيعا ومعاه دبلوم تجارة.

طب ده كلام يا جماعة؟ ولد معاه دبلوم يعنى لا تعليم ولا فكر يضحك عليكم؟

لا ماتقلش كده احنا شغالين معاه بقالنا أكتر من سنة زى الفل قوى.

مين اللى شغال معاه..؟

هنقولك ايه ولا ايه؟ مش هتصدق

مش هصدق ايه...؟

انت عارف..... و... و....

ياه بقى كل دول..

دول بيجمعوا الفلوس ويودوها له

بيعمل بيها ايه...؟

بيشترى كروت الشحن وبيكسب فيها.

كروت ايه بس اللى هتكسب كده...؟

الواد ده مش سهل يا جماعة ده شيطان بيضحك عليكم

ازاى بس يا بوزياد؟

مخلى احسن ناس فى البلد ومن كل عيلة واحد يلم الفلوس وهو بعيد وباخد الفلوس وبكره يهرب بيها...

ازاى بس يا بوزياد...؟

يا إخوانى يا أحبابى فين الضمانات اللى معاكم عشان تضمنوا فلوسكم؟

كلمة شرف...

الموضوع ده نصب يا جماعة...

انت أول واحد يقول الكلام ده ده مش فى بلدنا بس ده فى اكتر من مكان....

انا يا جماعة بحذركم من هذا الشيطان الرجيم وما سيفعله فى البلد! يا جماعة البلد هتولع وبكرة تقولوا أحمد قال الكلام ده...

ليه بس التشاؤم ده يا أستاذ احمد؟

ربنا ادانا عقل لازم نفكر بيه. إيه الحاجة اللى تكسب النسبة دى كلها؟ دا نصاب كبير...

امال بيدينا الأرباح دى فى ميعادها عمره ما تأخر علينا...

طبعا بحسبة بسيطة بياخد من فلان وفلان ويدى علان فلوس فلان وهكذا بيدور الفلوس.

حتى الأولاد اللى شغالين معاه من كتر الفلوس مابقوش يعدوها بياخد من بقك تقول له دول كذا يقولك سيبهم وخد أرباح الشهر الجاى مقدما.

شفتم يعنى من دقنه وافتله.

ايه الكلام ده يا أستاذ احمد؟ انت خليت الفار يلعب فى عبنا..

الفار بس ياعالم حرام عليكم بكره البلد هتولع والناس هتقتل بعض ومحدش هيرحم حد..

والعفريت ده هيهرب وينصرف..

ربنا يسترها يا عم احمد وخلى الناس فرحانة وبلاش تفكر فى بكرة...

ازاى الكلام ده يطلع من واحد متعلم زيك...؟

يا خسارة يا جماعة الفلوس لحست مخكم...

الله يلعن الفلوس

أستغفر الله العظيم من كل ذنب وأتوب إليه..

أنا قايم انام وبكره مسافر للقاهرة وربنا يسترها عليكم وعلى البلد..

تركت الجلسة واستأذنتهم ومازال صداها يسيطر على فكرى بل أرهقتنى إنه بلاء ومرض عضال قد أصاب أقاربى وأهلى وأهل بلدتى القرية الطيبة.

لم تذق عيناى طعم النوم فى هذه الليلة وعدت إلى القاهرة وأنا أحمل حملا ثقيلا من انفجار القنبلة الموقوتة والتى تسمى الكروت واتصلت بأخى المهندس..

وانت أخبارك ايه ياباشمهندس؟

الحمد لله آنا مأمن نفسى قوى فيه ثقة متبادلة وانا بلم من أكبر أكبر ناس فى البلد وكلهم ناس محترمين..

طب وبتودى الفلوس فين؟

بدى جزء لحمام وجزء تانى فى مكان تانى مشهور اكبر من حمام..

قصدك نصاب تانى.

متقلش كده يا حاج والناس كلها مبسوطة وناس كثير بيتحايلوا علىّ عشان آخد منهم فلوس وانا برفض. قلت لهم كفاية كده...

ياباشمهندس الواد حمام ده نصاب ده خرج للبلد من الفانوس السحرى هيلم فلوس البلد ويرجع تانى للفانوس وهيسيبكوا تخبطوا فى بعض بكره افكرك ياباشمهندس ناس هتخش السجن وناس هتقتل ناس وناس هيجيلها المرض وناس هتجلها أزمة قلبية وهتموت وناس هتتجنن. الموضوع ده لازم تخلص منه.

أخلص منه ازاى...؟

ادى الناس فلوسها قبل خراب مالطة....

مش هينفع د أنا حاطط أكثر من كذا مليون مع حمام وغيره.

وازاى جمعتهم...؟

الناس بقت تجبهم...

انا بحذرك لازم ترجع فلوس الناس

وانا اخذها ازاى من حمام.

حمام زمانه طار اتصرف ياباشمهندس وطلع نفسك من المشكلة دى....

حاضر ربنا يسهل بس ماتخفش يا حاج والموضوع ماشى والناس مابتشتكيش والعجلة دايرة....

برضه مفيش فايدة.... كل واحد بيشيل قربه مخرومة بتخر على دماغه بس هتتفرق معاك ومع البلد...

ولم تمض عدة أيام تكاد تقترب من شهر من وجودى فى مصر حتى وقع ما توقعته لقد هرب عفريت الكروت بعد أن بث سمه فى أفواه الناس وفى المياه التى يشربونها فأمسك الناس بعضهم البعض وضُرب من ضرب وشُتم من شتم واشتكى من اشتكى وعملت المحاضر فى أقسام الشرطة لدرجة أن الناس وقفت بالطوابير أمام نقطة القرية وأمام القسم فى المدينة

وانتفض شوية الحرامية من البلاد المجاورة ليحرقوا المحلات والبيوت ونهبوا ما نهبوا وجاءت الشرطة والأمن المركزى وأطلقت القنابل المسيلة للدموع لتفريق الناس وحدث الهرج والمرج فى القرية الآمنة واشتعلت النيران وأغلقت المنازل المتبقية والناس حبيسة فى منازلهم خائفين وفرضت أوامر الشرطة عدم التجوال فى البلدة.

وخاف الكبار والصغار الرجال والنساء لم يذهب الناس إلى أعمالهم ولا الأولاد لمدارسهم وتوعد المغفلون بالانتقام ممن ضحكوا عليهم وتقطعت أواصر الرحمة بين أهل البلدة. كل بيت فيه مصاب وجريح ومتهم وبرىء وقتيل ومريض ونصَّاب وطمَّاع. ماذا أفعل فى قرية آمنة أصابها الطاعون القاتل بسم قد بثه حمام الولد الفقير الحقود الجاهل لينتقم من كل من معه قرش فأراد أن يجمعه ويطير به فى السماء بلا عودة..

لقد خرج العفريت من الفانوس السحرى وجمع ما جمع وأعطى ما أعطى، ثم عاد إلى داخل الفانوس وأخرج لسانه الطويل للناس كلهم وقال أنا عفريت الكروت من يمسكنى ويقبض عليه له جائزة.

نسى الناس ما فعله معهم وسال لعابهم مرة أخرى وحياهم الأمل مرة أخرى فى عودة فلوسهم وقالوا الجائزة يا حمام نقد يا عفريت الكروت.

الجائزة هتكون ايه يا ناس يا عبط برضه هو انتم فاكرين حد هيقدر منكم يشوفنى انا بقول لكم أنا عفريت. حد يقدر يشوف العفريت..

أنا حمام عفريت الكروت.

طب وفلوسنا حرام عليك...

مين يجيب لنا حقنا؟ نشتكى مين ولمين؟ اشتكو أمركم لربنا رب البشر والجن. كيف يحاكم البشر الجن؟

أنصحكم بالانتظار إلى يوم الحساب يوم حساب الجميع بشر وجن امام الله عز وجل وانا عارف مكانى كويس النار وبئس المصير..

وفى الدنيا هتمتع على قدر ما اقدر ومحدش منكم هيشوفنى مش قلت لكم أنا عفريت أدخل وأخرج واعمل إللى انا عاوزه بكل حرية وأمان....

يا ناس يا طمّاعين فيه حكمة كنت دايما بسمعها من البشر أمثالكم بتقول دايما النصاب بيقابله طماع وده اللى حصل

عندكم أنا نصّاب وانتم طماعين وضحكت عليكم وكفاية عليكم كده انا راجع إلى الفانوس السحرى مرة أخرى.

ربما أخرج فى بلدة أخرى أضحك على ناسها وأعود وهكذا تتكرر الكرّة ودى طبيعتى أنا النصاب الكبير أو كما سميتمونى عفريت الكروت..

٢٠٠٧/٩/٢م

نبوت الصعيدى

كان يقطن بجوار منزلنا؛ فهو قادم من أقاصى الصعيد كفيره، باحثين عن لقمة العيش فاستقر به الحال فى قريتنا المزدحمة بالمصانع التى شيدتها الدولة. منزله يكاد يكون مغلقا... زوجته لا أعرف شكلها. أولاده الصغار لا يخرجون للعب معنا نحن الصبية أبناء المنطقة... ربما لشىء فى داخل عم هريدى لا يبوح به لأحد ...

كنت أحدث ابنه الكبير الذى يماثلنى فى العمر من نافذة منزله وأستمتع بلغته الصعيدية وتهتهته الخفيفة الناتجة عن الحالة النفسية والكبت النفسى الذى يفرضه هريدى على ابنه يحيى .

وتبع يحيى أربع بنات لعم هريدى مما زاده حزنًا على خلفته ...

كان حريصًا كل الحرص على عدم خروج بناته خارج المنزل حتى زوجته لا تخرج إلا فى أضيق المناسبات وكبرنا وكبر أولاد عم هريدى ولم يتعلم سوى ابنه يحيى ورفض تعليم البنات .

بناته سبحان الخلاق فى صنعه أربع فتيات من أجمل بنات القرية؛ وجه فتان، وقوام ممشوق، وشعر مسترسل على ظهورهن كنت أختلس بعض النظرات عند ذهابى إليهم فى صحبة أخيهن يحيى.

وتموت أم يحيى زوجة عم هريدى فجأة تاركة أولادها الخمسة فى أعمار متفاوتة أكبرهم يحيى ويصغرنه فى تسلسل دقيق سنة بعد سنة ويحزن عم هريدى على وفاة زوجته. وتمر الأيام.

ويغيب عم هريدى لمدة أسبوع نعرف أنه سافر إلى والدته فى الصعيد ليأتى بزوجة جديدة كانت حديث الجيران.

زوجة شابة لم يسبق لها الزواج من قبل. جميلة الجميلات لا يتعدى عمرها الثامنة عشرة. فى حين أن عم هريدى تعدى الخمسين... جسم وجمال وصحة ... كيف عثرت عليها يا عم هريدى؟

أغلق عليها الأبواب والشبابيك ليلاً ونهارًا خوفًا عليها من كل شىء...

هريدى يعرف قدراته جيداً فلم يعد هريدى بتاع زمان لقد أنهكه العمل الشاق فى إحدى شركات البلدة التى احتضنته كغيره من الفارين من قسوة الفقر والبطالة يزداد عليهم هريدى الهروب من الثأر الأعمى الذى لا يترك أخضَر ولا يابسًا إلا ويقضى عليه.

لقد أفنى زهرة شبابه وقوته مع أم أولاده وماتت الزوجه وتزوجت البنات وسافر الابن سعيًا وراء الرزق مثل أبيه مع تغير الزمان والمكان ...

وزاد الطين بلة ما كان يتعاطاه هريدى من شرب الشيشة ولوازمها من حشيش وأفيون حتى يستطيع أن يصمد أمام هذا الجسد الثائر، ماذا يفعل هريدى؟!

لقد أُغلق البيت على هريدى وناديه كأنه عرس جديد نعم هو عرس جديد لنادية وهذا ما تنشده لكن أين هريدى..؟! لقد أصبح شيئًا آخرَ!

أصبح يلهث من أقل مجهود !...

يهرب هريدى إلى العمل ويقضى فترات طويلة بحجة أنه أصبح ريس عمال ولا بد من إنجاز العمل المكلف به.

ويعود إلى البيت منهكًا ليجد زوجته فى استقباله بوجه بشوش مهيئة له كل وسائل الراحة من مأكل وملبس ونظافه بيتها ونفسها لكن أين...؟!

يسحب هريدى أنفاس الجوزة المغمسة بالحشيش طمعًا واعتقادًا منه وتنفيذًا للنصيحة... لكن هيهات لقد ضاع كل شىء... سرعان ما تسحب هى أنفاسه فلا تمضى عدة دقائق حتى يغوص هريدى فى نوم عميق... ويترك...!

كل ذلك زاد هريدى حرصًا وخوفًا على نادية لدرجة أنه كان يغلق الباب الخارجى للمنزل بالقفل والجنزير الحديدى...!

وزاده شكًا أكثر قيامه ببناء سور حول سطح المنزل خوفًا ممن يسكنون فى المنزل الملاصق لمنزله وهو عبارة عن عدة حجرات يسكنها شباب عُزَّاب قادمين من خارج البلدة للعمل فى إحدى الشركات المنتشرة فى البلدة إلى أن يتحسن حالهم ويتزوجوا فى شقة إيجار وتتحسن أكثر فيشترون قطعة أرض ويبنون عليها بيتًا مستقلاً وهذا ما حدث لأسلافهم الغرباء عن البلدة. ومنهم هريدى الذى يعلم كل ما يدور فى هذه الغرف من أفعال ترفضها تقاليده التى تربى عليها...

وما كان على هريدى إلا اللجوء إلى النبوت ليفى له بأكثر من غرض يتكئ عليه ويستخدمه فى الهجوم والدفاع فى وقت

اللزوم وأصبح النبوت لا يفارق هريدى، بل أتصور أنه يضعه بجواره على السرير.

وفى إحدى المرات كنت أقف فى شرفة منزلنا أتفقد بنظراتى أحوال المارة فى شارعنا وأتنقل بها حتى استقرت عينى بالمصادفة على شباك نادية مفتوحًا، وأحد شباب المنزل المجاور يقف على سطحه يتبادلان النظرات والهمسات... ربما!

أستغفر الله العظيم! إنها نسمات الهواء العليل فى صيف قاس حرارته جعلها تستدعى نسماته الشافية!

ربما هذا الشاب هرب إلى سطح المنزل لنفس السبب الذى من أجله فتحت نادية النافذة على مصراعيها وتجردت من أشياء ثقل عليها حملها وتقلبت على سريرها فى أوضاع عزت عليها فعلها مع هريدى.. ربما..!

ولم أسر بهذا الكلام إلى أحد خوفًا مما يحدث ولأكذب نفسى عما يدور فى ذهنى..

وحرصت على متابعة ذلك وتأكد عدة مرات..

لكن ماذا يستفيد هذا الشاب من نظراته ربما تشبعه نادية من على بعد حتى يصل إلى مراده..

وماذا تستفيد نادية من هذا ربما يشبعها تلصص هذا الشاب عليها واحتواؤها بنظراته الثاقبة القاتلة... ليكتمل عندها...!

اه لو يعرف هذا الشاب هريدى!

اه لو عرف بقوته منذ ربع قرن مضى أو أكثر!

أصبحت نادية تنتظر هذا الشاب الذى لا تعرف اسمه وهو لا يعرف اسمها فى الميعاد الذى اعتادته..

ويعلم هريدى من أحد الجيران أن أحد سكان البيت المجاور له يغازلون زوجته!

كيف يحدث؟ وكيف يغازلونها وهم لم يشاهدوها؟

النوافذ مغلقة لا تفتح إلا فى وجودى والأبواب مغلقة وباب المنزل مغلق بالجنزير الحديدى ومن الذى يجرؤ على التفكير فى مغازلة زوجة هريدى...

لقد احتواه الشك فى زوجته! ماذا يفعل؟

يشيد سورًا حديديًا عليها؟ أم ماذا يفعل؟!

لأول مرة يحس هريدى بعَجزه وعجْزه..

لا بد من مراقبة تصرفات وتحركات شباب منزل السكان.

أخذ هريدى إجازة إجبارية من عمله لقد بلغ سن الستين وزاد همه فلا أصدقاء ولا معارف له ولا عمل له لعدم صلاحيته لأى عمل آخر..

أصبحت جلسته طوال النهار أمام منزله متكئًا على نبوته يذهب إلى المسجد يصلى، ثم يعود إلى مجلسه مرة أخرى..

كنت أراه عند عودتى الى منزلنا على شاكلته بصفة يومية ممسكًا بكوب الشاى أو فنجان القهوة وأحيانًا أخرى شادًا أنفاس الجوزة..

أخرج إلى شرفة منزلنا فى الميعاد المعتاد لأرى نادية وهذا الشاب يتبادلان كل شىء وهريدى جالس بنبوته أمام باب المنزل.

أتعجب مما يحدث وأخاف مما سيحدث لهذا الشاب إذا لمحه هريدى...

أسمع هريدى يتفوه بكلماته الصعيدية بصوت عالٍ يتوعد من لا يحترم نفسه من السكان الأغراب..

حتى جاء اليوم الذى حسبته وتوقعته.. أصوات صراخ واستغاثة.. خرجنا مسرعين لنرى ما يحدث..... ازدحم الشارع بالناس أمام منزل هريدى.

لقد اعتدى هريدى على هذا الشاب الوسيم بالنبوت وضربه على رأسه وسال دمه ووقع على الأرض مغشيًا عليه وهريدى حامل نبوته يمتلكه ويحتويه الشيطان قائلا: لازم اجتله لازم اجتله...

لقد اقترب أذان المغرب. إنه اليوم الأول فى رمضان والبيوت مزدحمة بالأهل والأحباب والأصدقاء. يُحمل الشاب وينقل إلى مستشفى المركز الذى يبعد عن قريتنا مسافة طويلة يصارع الموت..

ويأتى العسكر للقبض على هريدى...

ويحرز نبوته أداة الجريمة..

وتستمر نادية فى محبسها الانفرادى.

فى زنزانة مصمتة على أمل أن ترى النور مرة أخرى..

الثانية صباحًا

٢٠٠٩/٢/٤م

صمت الصراخ

عشت طفولتى وكأننى لم أعشها... وعيت على الدنيا لأجدنى أعيش فى بيت يفتقر لأقل الأشياء المُعينة على المعيشة البسيطة لأفقر فقراء قريتنا...

لم أعرف لى أبًا، ولم تخرج من فمى حروفها الأولى ولا الثانية كأى طفل أو طفلة. فقط نطقت حرفين آخرين ما... ما... ولم أستطع نطق با... با...

ولحقنى أخى الذى يصغرنى بسنوات قليلة...

لقد مات أبى ولا أتذكر ملامحه ولا أشعر بدفء حضنه ولا أعى قبلاته وفرحته بقدومى...

أمى ظلمها أهلها بزواجها وهى فى سن الطفولة علاوة على حرمانها من التعليم فأنجبتنى وأنجبت أخى ومات أبى وهى لم تتعد التاسعة عشرة....!

أمى إن جاز أن أطلق عليها فتاة لا امرأة! لقد اكتملت أنوثتها بعد زواجها وأنجبت ومات زوجها!

أجمل فتيات القرية جسد ممشوق مستوى البنيان لا هى قصيرة ولا هى طويلة وجهها يشع منه النور يكسوه الابتسامة المريحة للنفس خدودها يعلو بياضها الاحمرار وشعرها طويل ذهبى بارتدائها العباية والطرحة السوداء وخروجها لقضاء حاجاتنا....

تثير الغرائز الدفينة والمكبوتة لشباب القرية...

وما ذنب أمى؟! لقد خلقها الله جميلة؛ أعطاها الجمال وحرمها من أشياء كثيرة...

تهافت الخطاب والعرسان للفوز بالزواج من أمى منهم الغنى والفقير والمتوسط الحال ومنهم المتزوج والأعزب والأرمل والكل يقدم الإغراءات بما يتميز به..

من يعرض على أمى المال والمعيشة اللائقة بها ومن يعرض شبابه الذى يتباها به... ومنهم...! ومنهم...!

وأمى واقفة شامخة رافضة كل هذه الإغراءات؛ خاصة ابن العمدة الذى حزن حزنًا شديدًا عندما أحبت أمى أبى الفقير وتزوجته رافضة بعزة نفس. رفض العمدة أن يتزوج ابنه بنت

رجل فقير رغم جمالها الفتّان... لقد عاود الكرة مرة ثانية، وظل يحوم بكل ما يملك من ألاعيب مشروعة وغير مشروعة وأمى رافضة أن تكون ضرة لزوجة لم ترتكب جرمًا فى حق أى إنسان إن فكرت أن تتزوج.

رفضت أمى الزواج من أجلى أنا وأخى وأغلقت الأبواب والنوافذ فى وجه كل من يراودها عن نفسها وأبت إلا الصوم والتجلد فى وجه كل هذه المراوغات فأنكبت على ماكينة الخياطة ليل نهار وأصبح لها زبائن وحمدت الله على رزقه ليعينها على تربيتنا ولظروف معيشتنا البسيطة أردت أن أخفف عن كاهل أمى فدخلت الثانوى التجارى لأكتفى بالدبلوم لأعمل بعد ذلك وأساعد أمى....

أثناء دخولى أولى ثانوى تجارى وخروجى من القرية وذهابى الى المدينة: حيث توجد المدرسة وأنا من آماثل أمى فى الجمال بل أفوقها كما يقول الجميع: الجسد الممشوق والوجه الأبيض الأخّاذ والخدود الحمر والشعر الذهبى المغطى نصفه بالإيشارب الأزرق والعينين الزرقاوين... والصوت الذى يكسوه بحه أضافت عليه أنوثة دفينة تبحث عن انطلاق إلى الفضاء الخارجى لإحساسها بشدة الضيق الذى تحبس فيه، رغم أن من يشهده ويذهب إليه لا يجد إلا السراب!

بدأ يحوم حولى فتيان القرية والقرى المجاورة والمدينة من المدارس التجارية والثانوى العام، بل فتيان الجامعة منهم على أبواب التخرج وأكثرهم فى سنواته التعليمية المختلفة... والقلب وما يختار. لقد احتوانى ابن العمدة عمدة بلدتنا والذى يماثلنى سنًا لكنه دخل الثانوى العام ليدخل الجامعة... وظلت علاقتنا فى الخفاء على قدر المستطاع، ولكن سرعان ما عرفت أمى ونلت ما فيه الكفاية من كلام لأول مرة أسمعه من أمى حتى وصل إلى الضرب...

يا بنتى حرام عليكى انا مارضتش أتجوز علشان خاطرك انت واخوك رايحة تحبى لى ومين؟ ابن الراجل اللى حفى عشان يتجوزنى...؟

يا أما اسمعى بس...

اسمع ايه يا شيخة..

يا أما أحمد عاوز يتجوزنى..

يتجوزك امتى وهو لسة ادامه ياما على مايخلص تعليمه؟

هيتجوزنى قبل ما يخلص تعليمه..

ازاى يا ختى...؟

هيقول لابوه..

وانت فاكرة ابوه هيسمع كلامه..

أيوه يا أما بكرة تشوفى..

يابنتى كان جد أحمد سمع كلام أبو احمد...

انا مش عاوزة الزمن يرجع تانى والمشاهد تتكرر... والبنت سمعة يا بنتى..

ما تخفيش يا مّا... أنا مش هشوفه تانى لحد ما ييجى يخطبنى..

أرجوك يا بنتى ماتفضحنيش...

حاضر يا مّا...

وتمر الأيام ويحدث ما كانت أمى تحسبه يرفض والد أحمد الزواج: يرفض الارتباط حتى بدبلتين: خطوبة تمهيدية. وأحزن وأواصل تكملة دراستى فى دبلوم التجارة..

ويلحقنى أخى ويلتحق بدبلوم الزراعة شهادة متوسطة أيضًا: لنساعد أمنا... كيف...؟! هذا ما حدث!

وفور حصولى على الدبلوم يأتى لمنزلنا رجل وقور غنى ذو مركز محترم فى القاهرة له أعمال متنوعة ويشغل منصبًا كبيرًا يكبر أبى بسنوات قليلة وأمى بعشر سنوات فيماذا يكبرنى

أنا...! لقد جاء من القاهرة؛ ليتزوجنى له أخت تعيش فى قريتنا زوجها من أغنياء القرية هى التى دلته علينا وحكت له عن جمالى وظروفنا المادية المتردية، وهى فرصة سانحة للطرفين...

لكن ظروفه إيه يا أمى...؟! لقد تزوج أكثر من مرة وما سبب طلاقه يا أمى؟ لا اعرف على وجه التحديد... ربما...!

انت اللى تنفعى تكونى زوجة له يا أمى..!

يا أمى ده أكبر من أبويا.. حرام عليك...

حرمة عليك عيشتك! يا بنت الراجل متريش ومعاه فلوس كتيرة ومش باين عليه سن.. ومركزه محترم...

انت يامّا اللى بتقولى كده... انت...؟ أنا مش مصدقة ودانى وتبكى أمى بكاءً مريرًا... خلاص بلاش تتجوزيه..

وأرتمى فى حضنها وأبكى خلاص يامّا زى ما انت شايفة وأخضع للأمر الواقع، خصوصًا وأن قلبى مجروح بحبى الأول والأخير. ويعرف أحمد بما حدث ويصول ويجول ويتمرد ضد أبيه ويرسل لى لأتزوجه عرفيا... أرفض.

ويأتى من اشترانى من أمى بثمن بخس ويخطفنى وأهل القرية يغطون فى نومهم وظلام الليل الدامس يكسو شوارعها

وأصوات الذئاب تعوى على فراقى للأحباب ودموعى المنهمرة أغرقت فستانى الذى لا أعرف لونه ولا أعى حياكته بعد أن حولت وجهى بمكياجه إلى بهلوان يحركونه فى سيرك بدون جمهور يسمع صدى صوته من ضحكاته الهزلية وصراخه المكتوم...

أصل إلى الفيلا التى ستكون زنزانتى فى إحدى مدن القاهرة الجديدة... الخدم والحشم فى انتظار أوامرى..

الحمام جاهز يا فندم.. الحمام جاهز يا ست هانم...

أنا هانم... أنا... وست الهوانم كمان...

ودخلت الحمام رافضة مساعدة أى من الشغالات بعد أن جهزته وأرشدتنى إلى استخدام أشياء لأول مرة أراها فيما يسمى بحمام وأسماء لأول مرة أسمعها

كان يقوم مقامها الصابونة والليفة والحجر لكعاب الرجلين. وأخرج لأجد ما تشتهى الأنفس من كل خيرات الدنيا..

السفرة مليئة بها...

وبعد ساعة أو ساعتين تقريبًا خلت الفيلا من الخدم والحشم أو على الأقل تخيلت ذلك .. لأجدنى وجميل بيه فى غرفة النوم التى تفوق دوار العمدة مساحة مجهزة بكل شىء...

يعطينى جميل أفندى الكأس المملوء بشىء أراه لأول مرة.. لقد شاهدته فى أفلام التلفزيون....

اتفضلى اشربى...

ايه ده...؟

مشروب جميل هيعجبك قوى...

وإيه لزمته يا بيه...؟

بلاش كلمة بيه دى قوللى يا جميل بس...

ولزمته ايه ده يا جميل....؟

لزوم الليلة الجميلة دى يا حبيبتى..

حبيبتك..

أيوه حبيبتى ونور عينى وكل شىء فى الدنيا..

صحيح...

اشربى بس...

لا يا جميل مش هشرب خمرة يا جميل اشرب انت...

طب شوية صغيرة... جربى بس...

لأ مش هشرب حرام مش من أولها كده..

خلاص يا ستى أشرب انا...

هقوم انام انا بقى...

تنامى ايه يا حلوة...

قصدى هستناك ... عشان ننام... الله ما تكسفنيش بقى..

عندك البرفانات بكل أنواعها شوفى اللى يعجبك..

وأقوم واضع ما أضع من الرواتح التى أراها لأول مرة فى حياتى..

وانتظرت قدوم جميل بيه فى ليلتنا الأولى وهو لا يبعد سوى بضع خطوات من سريرنا وفى غرفة نوم واحدة ليصل إلى السرير غائبًا: ليغوص فى نوم عميق حتى الصباح ليوقظنى بقبلاته المتتالية ليفترسنى فى غفوة من الزمن وينضح عذريتى ويعلن دخولى سجنه الكبير المحاط بأسوار يصعب اجتيازها...

وتأتى امى لزيارتى بصحبة اخى وذلك بعد أيام لنرى ما تعيشه ابنتها من سعادة زائفة كاذبة خاوية وتمكث عندى طوال النهار فى انتظار البيه لتسلم عليه قبل عودتها إلى القرية.. يتصل زوجى ليعلن أنه مسافر لمدة أسبوع للخارج ولو أرادت أمك المكوث معك فلها ما تريد... وأفرح وتمكث معى أمى وأخى فى فيلا جميل أفندى؛ لنعيش أحلى أيام عمرنا ونسيت بل تناسيت كل شىء آخر..!

ويحسدنى أخى على عيشتى هذه قائلاً يا بختك يا أختى ربنا يديمها عليك نعمة ويمر الأسبوع وكأنه ثوانٍ معدودات ويعود زوجى وتعود أمى وأخى للقرية..

وتمر الأيام والشهور ببطء شديد؛ معظم الأوقات جميل خارج المنزل، بل خارج البلاد إما فى شركته إما فى اجتماعات. آخرج معه لتكتمل الصورة فى أقل الحفلات؛ لأنى ـ كما يقول ـ لا أجيد فن البروتوكولات ولا أخضع لما يقال لى من فن الغزل حتى ولو كانت التعبيرات صريحة وفاضحة مقدمات تتبعها أفعال ونتائج يندى لها الجبين..

لقد مرت سنة كاملة على زواجنا الذى لم يثمر أولادًا... وجميل بيه متعجل... من أين يا جميل باشا!

وتسألنى أمى وتذهب معى إلى أكثر من طبيب ويجمع الأطباء على أننى أرض خصبة خصوبة أرض النيل لكنها لا بد من بذر البذور، ثم ريها بصفة مستمرة..

ماذا أفعل يا أمى والفلاح أنهكت قواه ولم يعد قادرًا على وضع البذرة فى باطن الأرض الشديدة الخصوبة مكتفيًا بوضعها على السطح فتذروها الرياح غير عابئ بما تعانيه الأرض العطشى طوال فترة امتلاكه هذه الأرض... ورغم اهتمامه بسمادها المستورد ووضع المياه العذبة أمامها ووعد

بالإتيان بالبذور المنتجة فى الخارج لكنه أصبح قليل الذهاب إلى الحقل، وإن ذهب فكأنه لم يذهب. وإن حاول وظن أن قوته عادت ورفع فأسه وأراد أن يقلب الأرض يتملكه الشعور بالتعب والإرهاق فيرمى البذور على سطح الارض (وكأنك يا أبو زيد ما غزيت)...

لقد تشققت الأرض وذبلت بعد أن كانت أرضًا يشتهيها كل فلاح لتنتج له كل الخيرات...!

ماذا أفعل يا أمى؟ لا تستطيع الأرض أن تنتج دون تدخل الفلاح وأنت تعلمين ذلك جيدًا يا أمى..

ويعلن جميل أن الخبراء والأطباء قالوا انه فلاح متصاب ما زال قادرًا على العطاء.. لكن... سهر الليالى امام ما تبثه القنوات الفضائية من افلام مخلة وشربه المنكر معتقدا أن هذا وذاك سيزيد من قوته التى ينشدها قد اتت بعكسها. ماذا يفعل جميل وماذا أفعل أنا..!

لا بد من الخروج من هذا السجن ... لا بد أن أعمل أخرجنى لمتابعة أعمالك! أى شىء! زهقت...!!

ويرضخ جميل لطلبى مرغما ويحضر لى سيارة لأقودها بعد أن تعلمت قيادة السيارات...

وأذهب إلى إحدى شركاته وظيفة بلا عمل إشباع رغبة مكتومة...

وأقوم بتعيين أخى فى مكان لم يحلم به خريج جامعة وبمرتب لا يحلم به حاصل على الدكتوراه...

وفى إحدى مرات ذهابى الى شركة جميل الهندسية لأتابع بعض ما كلفنى به قبل سفره للخارج أتقابل مع المهندس أحمد حبيب القلب..

إنه يتعامل مع شركتنا منذ فترة على أمل أن يرانى. لقد عاد القلب ينبض من جديد وجرى الدم فى عروقه وزادت نبضاته وأرسل رسائله إلى المخ بأن يوقف العقل تعقله ويترك الهواء النقى يدخل لينقى ما أصاب الرئة من أمراض نفسية خطيرة...

وتتعدد اللقاءات: لقد تزوج أحمد من إحدى فتيات قريتنا زواجًا تقليديًا وأنجب ما أنجب.. كل هذا لا يهمنى... لقد عدت إلى يا أحمد يا حبيبى وهذا كل شىء لقد تعدى اللقاء فى النور إلى اللقاء فى الظلام وما أدراك ما الظلام..!

ويتحرك الجنين فى أحشائى ويفرح به جميل: أخيرًا هيجيلى ولد أسعد به...

ويأتى الولد يا ترى ابن من..؟!

وتستمر العلاقة بينى وبين حبيب قلبى الذى طلب منى أن أطلب الطلاق من زوجى ونتزوج ولم أفكر ولم أقل له وانت يا أحمد ستطلق زوجتك...

واستمرت العلاقة الأثمة... وبدأ يشك زوجى فى خروجى الكثير المتكرر غير المبرر وبعد مراقبتى عرف أننى أقابل شابًا من سنى لكنه لا يعرف من هو..!

ورغم هذا حاول معى وطلب منى أن أقطع علاقتى بهذا الشاب وأنه سيغفر لى زلتى ونعيش لنربى ابننا وكفاية فضايح..!

وعشت وابتعدت لفترة عن الخروج خصوصًا بعد علمى بحملى الثانى الذى لا يفرق بينه وبين حملى الأول عدة شهور الحمل والولادة... ماذا أفعل..!

وتأتى أخت جميلة لابننا ويفرح جميل وتغمره السعادة ولم يفكر فى أى شىء سوى أنه أصبح أبا لولد ولبنت وخلاص..

لكن أنا هل استمر فى ذلك؟.. هل احدثه؟!

هل أطلب الطلاق وأعيش مطلقة محملة بولد وبنت مثل أمى هل أكرر عيشة أمى..!

أم أستمر فى خيانة زوجى وأعيش حياتى وأدع الكل يعيش والسلام.. جميل فى توهانه والأولاد ينشأون فى العز والأبهة..

أم ماذا افعل...؟

وهل اذا تبت ربنا هيغفر لى ذنوبى...؟

هل أنا محقة؟

ماذا افعل..؟

الخامسة فجراً

٢٠٠٩/٣/٢٢م

****

الزواج المبتور

رغم أنى ولدت فى القاهرة وتعلمت فى مدارسها والتحقت بكلية التجارة جامعة عين شمس، وعندما كنت أسأل عن أصل بلدة أبى أو أصل بلدة أمى تكون إجابة سؤالى الصمت؛ لأن أبى وأمى من مواليد القاهرة... رغم كل هذا فمعظم صديقات الجامعة يحسبننى ريفية من شدة تمسكى بالتقاليد وعدم تنازلى عنها مهما كانت الظروف... ربما تشبعت بها من أبى..!

ربما شَرِبتُها ورأيتها فى أمى... ربما تعلمتها من أختى الكبرى...

كان أبى يخاف علينا فى ذهابنا إلى الكلية وفى عودتنا منها ويلقننا الدروس المستفادة مدعما إياها بالقصص الواقعية، وتؤكد أمى كلام أبى...

تخرجت فى الجامعة التى لم تضف لى سوى الحصول على شهادة البكالوريوس وفور تخرجى رزقنى الله بوظيفة فى مكان محترم ذى أهمية فى مجتمعنا، وانتظرت فارس الأحلام الذى لم أفكر فيه إلا بعد تخرجى وخوفى من هرولة السنين، وزاد خوفى من خطبة وزواج أكثر من زميلة فى العمل وصديقة من جيراننا وانا أفوقهن جمالاً ونسبًا، ثم أتى من يخطبنى: شاب وسيم يتصف بقوة البنيان، ضابط ذو خلق طيب ومن أسرة كريمة.

زواج تقليدى قريب جارتنا وتزوجنا على الفور: لأنه جاهز وكبر سنه ولا يريد أن يضيع وقتًا فى موضوع الخطوبة. ورضى أهلى بطلبه طالما أن شقته جاهزة بكل شىء ويملك سيارة على أحدث موديل. ويتم زواجنا فى أجمل قاعة فى الفندق المشهور الذى حضرت فيه أكثر من حفلة زفاف لاصدقاء وصديقات واقارب وتمنيت أن تقام حفلة عرسى فيه وحققها الله لى فحمدًا لك يا الله.

وندهب أنا وزوجى إلى شرم الشيخ لمدة أسبوع، وأسبوع آخر فى الغردقة قضيت أجمل أيام عمرى كله فى هذه الايام، أخذت كل متع الدنيا التى لم أفكر فى الحصول عليها من قبل عندما كنت أسمعها من بعض الصديقات كنت أترك مجالسهن،

وأعتبر عيبًا أن أحكى أسرارى على الملأ. وادخرت حبى وقدراتى لزوجى الذى لم أكن أعرفه، رغم جمالى اللافت للنظر والذى سبب لى مواقف محرجة..

ونعود إلى شقتنا الجميلة؛ لنحقق فيها ما نحلم به، أن يرزقنا الله الولد والبنت ونعيش سعداء فى هذه الدنيا ولا نغضب الله ، فزوجى يصلى ويعرف حقوق الله وواجباته نحوى فكان حريصًا كل الحرص على إرضائى.

وأعود إلى عملى ويهنئننى صديقاتى وأصدقائى وزملاء العمل ومنهم من استضافنا فى أماكن خارجية، ومنهم من قبلنا عزومته داخل شقتهم..

وتمر الأيام حلوة... جميلة... لكن هناك شىء فى صدرى أحسه وأشعر به... ياربى ما هذا الشىء الذى بداخلى يجعلنى أحيانًا كثيرة أشعر بلحظات حزن ربما .. خوف... ربما ... ما السر وراء هذا؟ لا أدرى.

أقول استرها يا رب ولا أكاد أتفوه بما يدور فى داخلى وأساير السعادة مع زوجى وأسرتى وأسرته والجميع فى انتظار الزائر الجديد ...

يذهب زوجى لعمله بعد توصيلى إلى عملى ويحسدنى كل من يرانا، زوجة جميلة فى وظيفة مهمة وزوج شاب قوى البنيان

وسيم الهيئة وسيارة على أحدث موديل، وكنت أتغلب على ذلك بقراءة المعوذتين، لأنى أومن بالحسد المذكور فى القرآن....

وفى أحد أيام الصيف عدت من عملى فى الوقت المعتاد وأعددت الطعام وأخذت الحمام وارتديت أحلى الثياب فى انتظار زوجى العزيز، أسمع صوت التليفون أجرى ناحيته....

أيوه يا صابر تاخرت ليه...

لا يا فندم أنا العسكرى المراسلة...

أيوه أمال فين العقيد صابر...

ده تعب فجأة وخدوه على المستشفى...

مستشفى إيه؟... طيب.... طيب

وأترك سماعة التليفون: وارتدى ثياب الخروج وجسدى يرتعد وجف ريقى ولم أستطع الاتصال بأى من أفراد أسرته أو أسرتى ووصلت الى المستشفى لأجد زوجى فى غرفة العناية المركزة... صابر... صابر...

يطمئننى الطبيب المعالج: إنه فى غيبوبة إثر جلطة فى المخ. ادعى له أن تمر بسلام.

ممكن يا دكتور ....

كل شىء ممكن.....

ربنا يسترها

ويلتف حولى أفراد أسرته وأسرتى والأصدقاء وزملاؤه الضباط والعساكر الذين يحبونه ويحبهم لدرجة عمل نوبتجية على باب غرفته وهو فى العناية المركزة..

وتمر الثوانى والدقائق كأنها سنين طويلة وأمكث بجواره خارج غرفة العناية المركزة وأنا شاردة الذهن والدموع تنهمر بغزارة. أدعو الله أن يشفيه.

يا رب خليهولى يا رب. ماتحرمنيش منه. اشفيه يا رب.

ويأخذنى أخى من المستشفى عائدة فى صحبة أمى وأخواتى البنات إلى منزلنا تاركة صابر فى غرفة العناية المركزة فى عناية الله ممنوع بقاء مرافقتين مع المرضى وهذه تعليمات المستشفى.

لم أنم هذه الليلة من كثرة البكاء على صابر بل اللحظات القليلة التى خطفنى النوم هذه الليلة كانت عبارة عن عدة كوابيس أفزعتنى أكثر...

ويمكث صابر عدة أيام تقترب من شهر فى غرفة العناية المركزة... ثم ينتقل فى غرفة أخرى يحتاج فيها إلى مرافق: ليخدمه خصوصًا أن ما لحق به نتاج جلطة المخ أثرت على مركز الكلام والحركة والكتابة و.... و...

أمكث مع زوجى، الذى لم يتعد زواجى منه عدة شهور قليلة، أمكث الليالى الطويلة بجوار زوجى أسير الأسرة البيضاء. أبكى على حظى العسر يحس صابر بى من سماع حشرجه صوتى يتجه ناحيتى ويبكى لا يملك سوى البكاء..!

تغيبت عن عملى من أجل مكوثى بجوار زوجى عدة شهور حتى سمح له الأطباء بالعودة إلى منزله ليكمل علاجه وسط أسرته... أين أسرته!

يعود زوجى الشاب الرياضى ذو القوة الجسمانية القوية المفتول العضلات محمولاً... سبحان الله يلتف حولنا الأصدقاء والأقارب محملين بالهدايا والمأكل والمشرب ويمكثون عندنا حتى منتصف الليل، ثم يتركوننا؛ لأذوب فى صمت شقتنا القاتل أحاول التحدث مع صابر من طرف واحد يهز رأسه لليمين واليسار معلنًا رفضه لكلامى ولأسفل ولأعلى موافقا عليه...

تزرونى صديقاتى المقربات منى ويتحسرن على جمالى وشبابى وعنفوانه مع هذا المريض طريح الفراش الذى لا حول له ولا قوة هل ستستمرين فى خدمته ويضيع شبابك؟! أم ستطلبين الطلاق وتتركينه يصارع المرض وحيدًا ويتحمله أهله؟ أو يعود إلى المستشفى ؟

لا... لا.. سأظل بجواره .. سأمكث معه بقيه عمرى.. لن أتركه حتى آخر العمر... لا... لا..

وبدأ الجميع يحسدننى بما أقوم به من خدمة صابر التى مع مرور الأيام بدت ثقيلة ينوء بحملها عدة ممرضات وأنا من أنا؟!

البنت الدلوعة الرومانسية الحالمة صاحبة الجسد النحيف المشتاقة للحب وألوانه وإبداعاته لا تقوى على حمل هذا!

فتناوب على المكوث معى أمى فترة من الزمن أسبوع أو أكثر وأمه فترة أخرى... وأنا الممرضة المستديمة المكوث بجوار زوجى... وتمر الأيام والشهور دون تقدم فى علاج زوجى...

ويُذكرنى جميع من حولى أسرتى وأسرته بضرورة العودة إلى العمل حتى لا تتراكم على جسدى الأمراض النفسية التى ستترجم إلى أمراض عضوية.

وهو ما نصحنى به الطبيب النفسى المعالج لى. وأرضخ لأوامرهم وأعود إلى العمل...

يلتف حولى الصديقات والأصدقاء فرحين بعودتى إلى العمل تحدثنى صديقتى سلوى عن أحوالى وأحوال زوجى.

عمله ايه مع جوزك.

أهو عيشة وخلاص بديه الدوا وأأكله واشربه واحميه وانيمه هى دى شغلتى فى البيت.

يعنى مفيش...

قصدك ايه يا سلوى..

يعنى العلاقة الحميمة..!

انت فى ايه وانا فى إيه يا سلوى.

لا والله انا بكلمك بجد الموضوع ده عامل هو فيه ايه..

والله ماعرفش..

ازاى ماتعرفيش..

الموضوع ده أنا نسيته غصب عنى ومحولتش أجربه فى الظروف دى..

طب ليه ما تجربيش..

خايفة يفشل وتزيد محنته أكثر..

جربى...

أجرب ازاى فى حالته دى...

ساعديه...

ازاى..

خلى ٩٩٪ من هذه العلاقة عليكى والواحد فى المائة عليه هو...

ولو فشل...

إن شاء الله مش هيفشل.. وعشان كمان تروّحى عن نفسك... العملية دى مهمة للست قوى الواحدة متقدرش...

والله يا سلوى أنا نسيتها خالص...

متهيألك..

والله يا سلوى ربنا يعلم بيه..

ربنا يعينك على ما ابتلاك..

وأترك سلوى وأعود إلى شقتى لأجد حماتى قامت بكل المهام المكلفة بها حتى إعداد الغداء قامت به وأطعمت ابنها وعند وصولى استأذنت لضرورة عودتها إلى منزلها ولو ليوم واحد... أسعد بقرارها ليخلو لى الجو مع صابر زوجى حلالى...

وعند قيامى بمساعدته لغسل جسده فى الحمام وتناوب يدى على أجزاء من جسده وجدت البرهان أنه لم يصبه الدمار إذن يستطيع نعم يستطيع!

وفور عودته إلى سريره أحس صابر بما أريد ورأيت ذلك فى ابتهاج وجهه وابتسامته التى يكسوها الحزن...

قمت بتغيير ملبسى أمامه وارتديت أحلى قميص كان يحب أن يراه على جسدى ونثرت على جسدى أفخم أنواع البرفانات التى تحى الأجساد النائمة وارتميت بجواره أتصنع الدلال معلنة خنوع الأنثى لقوة رجلها...

أفيق بسرعة. أين قوة زوجى أعود إليه مسرعة أقبله وأوارى عنه ثم أقبله...

لأحرك ما تبقى فى داخله لتكتمل هذه العلاقة الحميمة يجاهد زوجى أساعده يجاهد أكثر.

أخاف عليه الفشل! نحن فى المنتصف...

أكمل يا زوجى على نفس الوتيرة... أساعده...

أغير الأدوار... ربما أقوم بالدورين معًا... ها.. ها.. لقد اقتربت من النهاية ... إنها النهاية.. لقد نجحت يا زوجى العزيز ... لقد نجحت ... يا لها من تجربة جميلة..

وفرح زوجى بما حدث وأحس أنه ما زال موجودًا أنه ما زال رجل يفى بأقل القليل بما تريده زوجته وأنا الحمد لله راضية..

يا سبحان الله وزوجى سعيد بتكرار هذه العلاقة الحميمة وكأنه عمله الجديد واعتبرها مثل الأكل والشرب وأصبح يكره وجود أمى أو أمه معنا فى الشقة ليسعد بأى جزء من مكونات هذه العلاقة أو على الأقل بمقدماتها..

ويرزقنا الله بولد جميل يشبه صابر اسماه أحمد ولم يتعد عدة شهور أخرى ليرزقنا الله ببنت جميلة أسماها صابر صابرة...

ويسعد صابر بأولاده لأيام وشهور لم تتعد السنتين؛ لتتدهور حالته الصحية وينقل إلى المستشفى لأمكث معه بالمستشفى تاركة أولادى مع أمى.. وتتدهور حالته الصحية أكثر وأكثر... الصمت الرهيب يخيم على حجرتنا ليتركنى حائرة نظراته قاتلة أعطيه الورقة والقلم أتذكر أنه لا يستطيع أن يكتب أحدثه. إنه لا يستطيع أن يتكلم، ماذا أفعل ؟ كيف أعرف ما بداخلك ؟ عاوز توصينى على الأولاد لا يستطيع يهز رأسه كسابق عهده، فماذا ...؟ ماذا أفعل؟... الباقى منك فقط نظراتك... التى تكاد هى الأخرى تخر أمام باقى جسده..

حتى أغمضت عيناه.. وأعلن الأطباء أن روحه فارقت جسده وما علينا سوى تورية جسده فى التراب... وأعود إلى شقة أمى محملة بالولد والبنت رافضة كل شىء...

أنظر إلى أولادى أبكى عليهم... على زوجى.. على نفسى..

هل..؟ أم....؟

وهل...؟ أنت علام الغيوب..

فجر يوم الجمعة

٢٠٠٩/٥/١٠م

مبروك مدام

كنت فى صحبة زميلى فى العمل وزوجى أمام الله، لكن بعقد عرفى زواج فى السر لا يعلمه إلا الله ومن شهد على العقد ومن حرره.

فأنا أرملة مكبلة بأربعة أولاد، وزوجى متوفى منذ ما يقرب من ثلاث سنوات.

نتقابل فى السر بعيدا عن أعين الناس فى شقته المجهزة التى لا تعلم عنها زوجته العاقر شيئًا وحسين متزوج منذ ما يزيد عن عشرين عامًا ولم يرزقه الله بالأبناء، وطاف هو وزوجته على أكبر علماء وأطباء العالم المتخصصين فى أمراض النساء والعقم دون فائدة...!

من أجل هذا قبلته زوجًا عندما تقرب إلى وطلب ذلك لثقتى ويقينى بأنه لا يستطيع أن ينجب خصوصًا وأنه يقترب

من الخمسين وأنا فى منتصف الأربعينيات وتاريخه الإنجابى شاهد على ذلك.

اتفقنا أن نزوغ من العمل ساعة أو ساعتين فى بعض الأيام ونأخذ إجازة فى أيام أخرى لنقضيها معًا فى شقتنا، ثم أعود إلى أولادى فى ميعاد خروجى من العمل الذى تعود عليه أولادى وحسين يعود لزوجته المريضة بأكثر من مرض من كثرة إجراء العمليات سعيًا وراء الذرية دون فائدة..

وفى هذه المرة أحسست بدوخة غير عادية ولاحظ حسين ذلك بدأت أقاوم أقاوم وأجارى حسين الحديث.

مالك يا منى..؟

مش عارفة يا حسين.

حاسة بإيه؟

حاسة بشوية دوخة ..

أول مرة تحصل لك..

بقالى أسبوع بتيجى وتروح يمكن شوية برد.

برد إيه يا منى لازم نروح لدكتور يشوف السبب إيه.

لا متكبرش الموضوع شوية دوخة وهتروح.

تعالى ندخل المستشفى دى.

مستشفى إيه يا حسين؟ انا عاوزة أروح..

بس اسمعى الكلام عشر دقايق نطمن بس

ماشى يا حسين.

ودخلنا المستشفى التخصصى وطلبنا استشارى لفحصى.. وجاء الطبيب وأجرى الكشف.... وطلب إجراء عمل تحاليل سريعة لعرضها عليه...

وتم عمل ما طلبه الطبيب ليعلن المفاجأة! الصدمة الكبرى....

مبروك مدام الحمل مستقر والحمد لله وشوية الدوخة دى هتروح بعد الشهر الثالث.. مبروك مدام..

انتابتنى حالة هستيريا من هول المفاجأة وظللت أردد يانهار اسود..

يانهار اسود أنا حامل يانهار اسود ..

أنا اللى جبته لنفسى هقول إيه لولادى هقول إيه لبنتى وخطيب بنتى هقول إيه لزمايلى فى الشغل وجيرانى وقرايبى وقرايب جوزي أبو عيالى...

ويعود حسين بعد أن خرج مع الطبيب من غرفة الكشف ليصطحبنى..

ألف مبروك يا حبيبتى.

حبيبتك إيه دلوقت ..؟ انت السبب..

إيه بس؟ دا أنا مش مصدق نفسى اخيرا هبقى أب.

أب ايه يا حسين مش ممكن.

ازاى يا منى...

لازم اسقط نفسى قبل ما حد يعرف..

حرام عليك يا شيخة ده أملى الوحيد فى الدنيا عاوزة تحرمينى منه..

طب وانا؟ مبتفكرش إلا ف نفسك؟ وانا عندى أربع عيال كبار وفاهمين يعنى ايه جواز..

ولادك ولادى وانت عارفة وانا من ساعة المرحوم ما توفى وانا فى مقام ابوهم ودخلت بيتكم والاولاد بيحبونى وده اللى شجعنا على الجواز...

حسين أرجوك روحنى بيتى انا تعبانة..

هتتغدى فى أى مكان وبعدين أروحك.

مليش نفس أرجوك روحنى.

طب نعود نشترى شوية كباب وكفتة الولاد عندك بيحبوا الاكلة دى..

ماشى يا حسين..

ونصل إلى شقتى وبصحبتى حسين. الأولاد يحبونه وهو يجيد فن التعامل معهم..

تناولنا الغداء سويا وتركنا...

مالك يا ماما؟

لا مفيش تعبانة شوية.

اتفضلى حضرتك ريحى شوية نامى وانا هدخل المطبخ اتفضلى حضرتك..

ربنا يخليك يا نسمة...

ويخليك لنا يا أحلى أم فى الدنيا ..

وأدخل غرفة نومى وأنا فى حيرة من أمرى ماذا افعل أأخبر أولادى لا.... لا....

ماذا أفعل..

وتمر الساعات ثقيلة جدا أكاد أجن .. أجن

أصعب ليلة عشتها فى حياتى ...

وصليت الفجر وناجيت ربى أن ينقذنى من هذا الهم الكبير..

وأحست بقلقى بنتى نسمة..

ايه يا ماما انت لسة مانمتيش؟

لا ياحبيبتى صليت الفجر وهخش انام دلوقتى...

فيه حاجة يا ماما بتفكرى فيها أو تعبانة من حاجة؟

لا... لا مفيش بس عشان نمت شوية الضهر فمش جايلى نوم...

لا يا ماما أرجوك صارحينى لو فيه حاجة. انا بنتك الكبيرة وصديقتك من زمان أرجوك يا ماما سرك فى بير....

نسمة! أنا حامل...

ايه يا ماما حضرتك بتقولى ايه ... بتتكلمى بجد...

زى ما سمعت كده..

ازاى....؟ ومن مين...؟ اوعى ياماما تكونى...!

قبل ما مخك يروح لبعيد انا متجوزة.

برضه من مين؟ وامتى؟ وازاى...؟!

من مين انتى عارفاه كويس. انت واخواتك ومن امتى من حوالى ست اشهر.

عمو حسين...

أيوه عمك حسين...

والله يا ماما أنا كنت حاسة إن فيه حاجة لكن ما تصورتش موضوع الجواز ده أبدا. سبحان الله! مفيش حاجة لوجه الله. بيخدمنا عشان يوصل لغرضه..!

يا بنتى ماتظلميهوش الراجل متجوز وفعلا بيحبكم وموضوع الجواز جيه فجأة...

وبتتقابلوا فين..؟

فى شقته اشتراهالى مخصوص عشان الجواز.

وبتتقابلوا امتى.

بعد خروجنا من الشغل .. يا نسمة اللى حصل حصل المشكلة يا بنتى فى موضوع الحمل.

مش حضرتك قلت لنا أول ما تعرفنا عليه إنه ما بيخلفش..

ايوه حصل..

آمال الحمل ده جيه منين..؟

انا مش عارفة.

ماما .. يعنى ايه!

يمكن عشان أنا عندى الإخصاب قوى كان دايما دكتور النسا يقول لى كده..

لازم يا ماما تسقطى ونعمل العملية دى فى السر ومحدش يعرف وموضوع جوازك ده برضه لازم يا ماما تخلصى منه مش عاوزين فضايح..

يا بنتى عملك حسين فرحان قوى ان هيكون له ولد أو بنت ونفسه.....

نفسه ايه يا ماما .. وانت صحتك هتستحمل حمل وولادة فى السن ده وانا... واخواتى... وخطيبى .... ليه بس يا ماما عملت كده...

عملت ايه يا بنتى ده جواز على سنة الله ورسوله.

مكانش له لازمة. حتى عشان خاطرنا يا ماما.

يا بنتى عشان خاطركم كنت مستحملة أبوكم وسفره سنين طويلة وانا اللى ربيتكم... وحرمت نفسى من حاجات كتيرة...

ويعنى عم حسين هو اللى هيرجع اللى فات يا ماما؟ اللى فات عمره ما هيرجع تانى لأن العمر والأيام الحلوة مابترجعش.

يا بنتى اللى حصل حصل. أرجوك يا نسمة متزوديش همى انا حكيتلك النصيبة اللى انا فيها دلوقت واوعى تحكى لخواتك.

يا ماما أحكى بس ايه!

احنا لازم نشوف حل سريع ولازم تنزلى الجنين ده

نروح للدكتور جابر أستاذ نساء وولادة هيقولك نعمل ايه...

وتتركنى بنتى نسمة لينقذنى النوم من هم كبير وأنا بين نارين هل أقوم بعملية إجهاض للجنين ولأحلام حسين والأمل الأخير له وهل صحتى تسمح بإجراء عملية الإجهاض؟ أم أستمر فى حملى؟ وهل صحتى تصلح أن أحمل جنينًا فى بطنى تسعة أشهر؟... هل..؟ هل...؟!

٢٠٠٩/٦/١٦م

الكرامة

رغم قضائه فى الوظيفة الحكومية ما يقرب من أربعين عامًا، وتعدى عمره الدنيوى الستين، فإن رغبته فى العمل وحرصه على عدم المكوث فى البيت جعله يبحث عنه فى كل مكان دون كلل ولا ملل لقد طرق أبوابًا كثيرة مغلقة وانتظر أيامًا وشهورًا كانت ثقيلة وخانقة. حسبها سنين طويلة... وأخيرًا فتح له الباب؛ ادخل انت مستشار لشركات البيه!

فرح رامى أفندى بالوظيفة الجديدة دون أن يسأل عن طبيعة عمله كمستشار.

فى اليوم الأول استقبله محسن بيه ورحب به وأثنى على خبرته الطويلة فى مجال عمله الحكومى وأنه سيذلل الكثير والكثير لمجموعة شركاته.

دخل مكتبه الجديد.. جلس على كرسيه...

قارن بين مكتبه السابق كوكيل وزارة ومكتبه هذا وكانت مقارنة فى غير محلها أين مدير مكتبه والسكرتارية والسكرتيرة الخاصة و.... و.....؟

حكم عقله.. وقال: هذا شىء طبيعى أحسن من قعدة البيت.

فى اليوم الثانى عرضوا عليه مشكلة فى أحد الموانى اتصل بالتليفون عرفهم بنفسه على استحياء تنكر البعض... سأل عن فلان... فى إجازة...

وجد آخر تذكره... طلب منه أن يساعده فى حل هذه المشكلة... وعده... ولم تحل!

فى الصباح الباكر استقل سيارة الشركة متجهًا إلى الإسكندرية تنفيذا لأوامر محسن بيه.

وصل هناك... الساحة كبيرة...

والكونترات مليئة بالبضائع المتنوعة.

الموظفون منشغلون بعملهم وأصحاب الشأن والمستخلصون الجمركيون منكبون على تدوين البيانات الخاصة بالشهادات الجمركية يشكلون ازدحامًا على مكاتب الجمارك...

حاول الدخول متعديًا الصفوف.... سمع كلمات من الواقفين تنهره على فعلته لم يعبأ بما يسمع. واصل محاولته...

يمنعه العامل الواقف على باب الدخول.

يعرفه بنفسه.... والعامل يصر على عدم دخول أى أحد وهذه تعليمات وكيل الوزارة...

أنا يابنى وكيل وزارة سابق وكنت... وكنت...

تفشل المحاولة..!

يمسك تليفونه المحمول يبحث فى الأسماء عن منقذ ينقذه ويبيض وجهه أمام محسن بيه..

يعثر على أحدهم كان يعمل تحت قيادته فى القاهرة منذ عدة سنوات يمكن يفتكره يرد عليه يذكره بنفسه.. طبعا فاكرك أية خدمه... والله الموضوع كذا وكذا مينفعش الكلام فى التليفون اتفضل تعال مكتبى... اوصف لى العنوان.

انا عمرى ما جيت هنا اثناء الوظيفة وانا.... وأجى دلوقتى وأنا....!

يذهب إلى مكتب المدير العام ما شاء الله حضرتك بقيت مدير عام.

الحمد لله انا بفتخر بتلامذتى اللى انت منهم.

تأمر يا رامى بيه.

الموضوع كذا وكذا... وانا دلوقتى مستشار الشركة وده اول اختبار ليه فى الشركة أرجوك بيض وشى متحرجنيش أدام البيه

مين البيه ده...

الريس بتاعى دلوقتى!

وتحل المشكلة.... ويخبر محسن بيه بنجاحه ويعود رامى افندى لمكتبه بالقاهرة سعيداً بما حققه من نجاح، فيجد مظروفًا على مكتبه يفتحه يجد بداخله مبلغًا من المال مكافأة من محسن بيه على مجهوده..

وتمضى الأيام ورامى أفندى يحتوى كل موضوع يعرض عليه فكان رأيه الفنى مفيداً للشركة فى كل شىء استوردوه ومع هذا كان يخشى الذهاب إلى مواقع العمل التنفيذية أو المكاتب الإدارية خوفًا من الإحراج...

لكن هيهات أن يتحقق كل ما يتمناه هناك مشكلة فى رسالة فى ميناء الدخيلة بالإسكندرية... ولا بد من تدخلك

حاضر يا محسن بيه....

ويتصل بالتليفون الأرضى تارة وبالمحمول تارة أخرى ويبعث بالفاكس أوراقًا...

لازم تسافر إلى هناك...

حاضر يا محسن بيه...

ويصل إلى هناك ويتنقل بين مكاتب الموظفين ويقف فى الطابور لأخذ موافقة إحدى جهات العرض يُشّبه عليه أحد المستخلصين يشفق عليه يعرض عليه خدماته وأن يستريح على أحد المقاعد وينهى له طلبه... يرفض متحججًا بأهمية مقابلة الموظف ليشرح له الموضوع....

ويمكث طوال اليوم متنقلاً بين جهات العرض منهم من أعطى الموافقة ومنهم من رفض...

ماذا يفعل رامى أفندى أمام رفض جهات العرض... لقد فشلت مهمته...

كيف سيقابله محسن بيه!

وفور دخوله مكتبه يخبرونه بسؤال محسن بيه عنه

يذهب مسرعًا... يدخل المكتب...

ايه يا سعادة المستشار المهمة كانت صعبة.

لا يا محسن بيه

امال ايه الى حصل

مش بايدينا دى جهات عرض ولازم تستوفى

اتصرف يا رامى...

يا هندم...

مفيش افندم لأزم تتصرف..

اتصرف ازاى بس..

امال انا بديك المرتب الكبير ده ليه

عشان تقولى مش عارف اتصرف

اتفضل يا سعادة المستشار روح شوف حل أدامك أربعة وعشرين ساعة والا....

حاضر يا محسن بيه.

ويخرج رامى افندى من مكتب محسن بيه وهو حزين على نفسه...

مَنْ أنت يا محسن بيه؟ لترفع التكليف والألقاب وترفع صوتك

وأنا من أنا....

ولماذا الإهانة! ومن أجل من!

لقد أعطانى الله الكثير من المال والمركز والكرامة، وهل يبقى فى العمر شىء لتضيع الكرامة؟!

يمسك رامى أفندى الورقة ويكتب استقالته دون رجعة: قبل أن يطرده محسن بيه ويعود إلى بيته إلى أسرته عازمًا الأمر على أن يكرس ما تبقى من عمره فى عبادة الله والعناية بأولاده وأحفاده وأن يعمل فى خدمة عباد الله المحتاجين من خلال الجمعيات الخيرية وأن يحمد الله على ما رزقه من مال يكفيه وميراث يورثه.

فجر يوم الجمعة

٢٠٠٩/٩/٢م

دونجوان بـان

نشأت فى أسرة متوسطة الحال كمعظم الأسر فى بلدتنا محبوبين من كل من يتعامل معنا.

كنت الابن الأصغر ومتممًا لأربع أخوات شقيقات. فكنت الابن المدلل تدليلاً غير مبرر وخوف أمى وأبى علىَّ أن يحصل لى مكروه زاد انحسارى فى قوقعة مغلقة.

وإجابة كل مطالبى أفقدتنى الخبرة الحياتية المكتسبة وعدم خروجى للعب مع الصبية أقرانى ومكوثى داخل جدران منزلى وسط أربع فتيات وصديقاتهن، لهن لعبهن ولهن حديثهن الخاص جعلنى انطوى على مخالطتهن وصبغنى بصبغة الخجل المرضى.

لاحظت أمى ذلك وحاولت التغلب على هذه الأشياء المرضية وتخرجنى منها بشتى الطرق المعروفة وغير المعروفة.

وأدخل المرحلة الإعدادية ويزداد خجلى بطريقة مخيفة لدرجة تجنبى المواجهة مع من يزورنا من أقاربنا أو أصدقاء أبى وأمى خصوصاً النساء سواء بنت أو امرأة: ومهما يكن عمرهن أو حتى الرد على التليفون وإذا حدثتنى فتاة لا أقوى على الحديث معها أكثر من دقيقة ويصيبنى ما كفاكم الله شره حتى عند ذهابنا للمصايف خلال العطلة الصيفية كنت أعتزل الشلة من الشط إلى الشاليه متحاشيًا السهرات الشبابية الليلية التى كانت تقيمها القرية كل ليلة حتى العزومات الأسرية كنت أتحاشى وجودى معهم كيف أتناول الغذاء أمام فلانة وعلانة لمجرد اعتقادى أنهن ينظرن إلىَّ...!

وجاهدت أمى من أجل معالجتى من الخجل القاتل الذى انتابنى بأى طريقة كانت صحيحة أو غير صحيحة فكانت تشجعنى على الحديث مع صديقات أخواتى ومحادثتهن من خلال التليفون، ثم محادثة صديقاتى بالمدرسة وجهًا لوجه ثم تشجعنى على الاتصال بهن وإبلاغى بأسماء من اتصلن بى حتى أدمنت هذه الاتصالات التليفونية والحديث مع البنات من هن فى عمرى وتأتى المرحلة الثانوية وتزداد صديقاتى وتتنوع وتتعدى المكالمات التليفونية للمقابلات الشخصية.

لقد انقلب الخجل الشديد إلى وجه مكشوف لا حياء ولا تحسب فى اختيار الكلمات التى أتفوه بها مع هؤلاء الفتيات.

ربما ساعدنى فى ذلك نوعية البنات اللاتى أصادقهن وانخلع برقع الحياء من على وجههن وتفجج أنواع من البجاحة والوقاحة لم تكن موجودة فى الأجيال السابقة أو ربما لم تكن بهذه الصورة الفجة.. ربما وسائل الإعلام المرئية والفضائيات وما حدث من غزو إعلامى لبيوتنا وتقاليدنا الموروثة.

وما أكاد اقترب من المرحلة النهائية من الثانوية العامة حتى أصبحت من المعروفين بين أصدقاء المدرسة والدروس الخصوصية بعدد وفير من الألقاب لم اسمعها من قبل أو ربما سمعتها لكن لم اعرف معناها كان أشهرها لقب دنجوان عصرك....

ولقب بذلك لما اتمتع به من نعم قد حبانى الله بها من وجه جميل بشوش يكسوه الابتسامة الطبيعية وشعر أسود ناعم يكسو رأسى بغزارة وينسدل على جبهتى قليل منه... وعيون زرقاوية بزرقة السماء الصافية اللامعة وجسد فارع منسق يظهر محاسنه وتقسيماته أى ملبس أرتديه علاوة على إجادة التحدث والاستمرار فى الحديث مع أى بنت او أمرأة بكلمات مرتبة والدخول والخروج من موضوع إلى آخر بإدارة دفة الحديث لأوقات غير عادية قد تمتد عدة ساعات دون ملل من الطرفين.

ولم تكن لى حبيبة معينة لكن لى أكثر من صديقة تحبنى وتعشقنى وتخرج معى وتعطينى كل ما أطلبه منها دون تفكير فى عواقب ما نفعله.

وأدخل الجامعة.. تحرر أكثر مما كنت اعتقد وأرض خصبة لنمو كل ما هو صالح وفاسد وأنا زارع لم يزرع الخير وإنما زارع طماع يحصد ثمار غيره فيدخل الحزن على أصحاب هذا الزرع.

تنوعت صديقاتى وأضيفت لهن طالبات متزوجات يتمتعن بحرية أكثر وإمكانيات مادية لم تكن موجودة فى صديقاتى الفتيات من هن فى المرحلة الثانوية..

بدأن يشجعننى إلى الذهاب معهن إلى أماكن لم أرتدها من قبل ولم أحلم بدخولها فى يوم من الأيام وبدأت أسايرهن فى سهراتهن حتى وقعت فى المحظور...!

ولا خوف من ذلك فهن متزوجات والأمر بالنسبة إليهن أمر عادى، فالخيانة أمر عادى وأدمنت هذه اللذة مع كل من تقع تحت يدى لا أفرق بين فتاة وامرأة ولم أفرق بين واحدة وأخرى متمرسة ومعتادة أم....!

لدرجة إصابتى بمرض تناسلى كاد ينهى حياتى لولا كرم الله وفضله علىَّ رغم معصيتى له وإصرارى على المعصية.

دون وازع دينى يعصمنى من الخطيئة..

فلا صلاة تعصمنى ولا حديث يهدينى أو يرشدنى وخفت على نفسى من الموت وتذللت إلى الله بأن يشفينى وعهد بألا أعود إلى المعصية أبدًا.

لكن هيهات من إنسان عاصٍ أجوف يعيش فى برك ومستنقعات من الفسق والفجور يحوم حوله شياطين الإنس من فتيات ضائعات ونساء فاجرات كلهن يتبارين فى إرضائه لخوض التجارب معهن حاولت صدهن والالتزام بالعهد وعدم مجاوبتهن بكل الطرق لكن كانت أسلحتى فاسدة هشة لم أكن مسلحًا بالإيمان الحق. لقد انتصرت فى النهاية وعادت ريمة لعادتها القديمة دون اكتراث بما سيحدث لى وفى السنة النهائية من الجامعة تعرفت على طالبة جميلة مهذبة ترتدى ايشارب خفيف على رأسها يزيدها جمالاً منعزلة عن شلل الجامعة....

حاولت الاقتراب منها رفضت حتى الحديث معى حاولت معها ولم أيأس حتى نجحت فى أن تتجاوب معى بمجرد الحديث داخل المدرج أو خارجه داخل أروقة وجنبات الحدائق المنتشرة فى ساحات الجامعة...

أحببتها وأحبتنى وتعددت اللقاءات خارج أسوار الجامعة والأماكن العامة المفتوحة وفشلت فى أى لقاء داخل الأماكن الخاصة المعتادة.

مما زاد حقد صديقاتى القدامى وحدث ما حدث من مكائد حتى أبعد عن محبوبتى وأعود إليهن.

ونتخرج فى الجامعة ويفترق أكثرنا إلا من يلتقون فى الأندية المشتركة..

وتخطب وتتزوج الإنسانة الوحيدة التى أحببتها أثناء تأديتى الخدمة العسكرية

واخرج لأبحث عن فرصة عمل لأجدها عند والد إحدى فتيات العهد القديم....

وأعين فى مركز لم احلم به وأتزوج من فيفى بعد إقامة حفل عرس لم أحلم بأن أراه وكنت بطله...

وفى أول لقاء حميم مع زوجتى بالحلال رسبت بدرجة ضعيف جداً .. ماذا أفعل؟!

طمأنتنى فيفى بأنها أشياء طبيعية تحدث فى بداية الزواج لكنها تكررت..!

وفشلت معى كل المقويات وأقراص الشفاء ولم تمض عدة أيام على زواجنا وتعاودنى آلام وأعراض المرض التناسلى التى أصابتنى منذ عدة سنوات وظننت أنى شفيت منه.

تتركنى زوجتى أعانى مما أعانيه، وتذهب للسهر مع الشلة وتفعل ما يحلو لها وتشبع رغباتها وعندما نهرتها على استحياء نهرتنى بشدة وقالت لى انت طالق يا دنجوان العصر القديم. اخرج إلى الشارع طريداً ذليلاً، بلا زوجة ولا عمل ولا مأوى، واترك المرض اللعين القاتل ينحر فى جسدك الذى أضاع العذارى.

ربما يطول عذابك الدنيوى

وربما....!

٢٠٠٩/٩/٢م

••••••••••

الهانم والبيه

عرفته منذ اليوم الأول لتسلمى العمل فى ورديته، رجل ودود يتميز بعدة صفات تجعلك تحبه وتكن له كل احترام.

مكثت معه فى الورديه ما يقرب من عشر سنوات وقطار الوظيفة العامة يقطع السنوات وكأنها لحظات وعندما وصل إلى محطة المعاش ودعناه، وينطلق القطار ليدور فى حساب السنين ليعود مرة أخرى ومرات عديدة لنفس هذه المحطة، ربما بعد قليل للبعض والبعض الآخر بعد فترة ...

ولم يمض عدة شهور إلا وجدته واقفًا فى صالة الجمرك قابلناه بحفاوة وأمطرناه بعبرات الترحيب وهذا حقه وحق كل رؤسائنا السابقين.

منورنا يا أستاذ مجدى

ربنا يخليكم وانتم أخباركم ايه؟

الحمد لله

حضرتك هتستقبل مين؟

اشرف بيه وحرمه

مين اشرف بيه؟

رجل أعمال كبير قوى صاحب شركات

وحضرتك شغال معاه ..؟

شغال معاه ماسك مدير العلاقات العامة

وحضرتك مبسوط معاه؟

قوى هو رجل محترم ومهذب

وبيقدرك من ناحيه الفلوس؟

والله مش موضوع فلوس القعدة وحشة قوى فى البيت ربنا ما يوريها لحد ويكفينا شر المرض ويدينا الصحة ونشتغل .

وتعلن الإذاعة الداخلية للمطار عن وصول طائرة أشرف بيه.

يستأذن الأستاذ مجدى وأبعث معه عم على عامل الورديه ليساعده وننغمس فى العمل.. لكننى متابع لتحركاته ينهى الجوازات ويحضر لهما عم على عربة العفش ويتجهان ناحية

سير الحقائب الصاله تزدحم بالركاب القادمين من خارج البلاد منهم من ظل واقفًا فى طابور الجوزات لينهى إجراءات دخوله البلاد من الناحية الأمنية. ومنهم من يقف أمام سير الحقائب...

ومن يحصل على حقائبه يتجه ناحية الجمرك لينهوا تفتيشهم، ثم يتجهون لخارج الصالة..

الصالة أفرغت كل ركابها لتستعد لاستقبال ركاب اخرين وما زال مجدى وضيوفه وعم على واقفين أمام سير الحقائب على امل ان تصل حقيبه الهانم الكبيرة بعد وصول حقيبة البيه وتنطلق صفارة السير معلنة عن توقفه وعدم وجود حقائب أخرى..

ويحررون محضر فقد برقم الحقيبه ويعطون وصفها وما تحتويه الحقيبة من أشياء ثم يدخلون صالة الجمرك أقابلهم.

خير يا أستاذ مجدى.

أعرفك يا أستاذ أحمد بأشرف بيه والهانم حرمه.

أهلا يافندم تشرفنا..

أصل شنطه الهانم ماجتش

مفيش مشكلة مش حضرتك عملت محضر

عملنا محضر بس الهانم مضايقة

اصلنا مسافرين بكره باريس واللبس الشتوى كله فى الشنطة دى

شفت كويس ياعم على السير من الخارج يمكن يكون واقعه.

شفت يا استاذ احمد زى شنطتى كأنها هيه بس مش شنطتى...

يبقى شنطتك هتجيلك يا هانم

والله استاذ احمد ازاى..؟

يا هانم راكب خد شنطتك بالغلط التشابه الكبير بين الشنطتين.

ياريت وهنعمل ايه دلوقتى..

اتفضلوا حضراتكم تخرجو وحمد لله على السلامة وانا لسه قاعد لحد الساعة عشرة هبقا اتصل بالاستاذ مجدى لو رجعت الشنطة

لا ارجوك خد تليفونى الموبيل وتليفون البيت..

خد تليفونى انا يا احمد بيه

اسكت انت يا اشرف مش شايف بكلم وانا قلت هياخد تليفونى.

حاضر يا حبيبتى ...

الورقة هى مكتوب فيها تليفوناتى وتليفون البيت

ماشى يا هانم

احنا متشكرين قوى يا أستاذ أحمد..

انا تحت امرك يا أشرف بيه والأستاذ مجدى ريسنا ويأمرنا فى أى وقت وإن شاء الله شنطة الهانم هتيجى وهنبلغكم ...

ولم تمض ساعة على خروج اشرف بيه وحرمه من صالة الجمارك حتى يأتى إلى المطار من أخذ الحقيبة بطريق الخطأ ليأخذ حقيبته ويترك الحقيبة الأخرى التى أخذها بالخطأ ...

فعلا نفس الحقيبة حجمًا وشكلاً ولونًا على الفور اتصلت بالهانم كما طلبت منى

احمد... احمد الشنطه جت؟

أيوه يا هانم الحمد لله الشنطة موجودة وقد تلعثم الكلام فى فمى من هول الرد ومحو الألقاب.

دقائق وهكون عندك يا أحمد ...

متتعبيش نفسك يا فندم أنا شايف الأستاذ مجدى رايح يستلم الشنطه أهوه

ماشى ياحمادة طب أنا عاوزة أشوفك بقا

انا تحت أمرك يا فندم.

بلاش افندم خليك فرى.

حاضر يا أستاذة..

وبلاش أستاذة دى قولى يا نانى

ميصحش يا ...

ها... على العموم عاوزه اشوفك قريب

ان شاء الله يا هانم

وتنتهى المكالمة وأنا فى ذهول ماذا اعرف عن اشرف بيه وحرمه

هل هذا طبيعى أم أنا أتصور أشياء؟ ولماذا؟! وماذا؟! وكيف؟! انا .. مستحيل؟!

ويخرجنى الأستاذ مجدى مما اعترانى من ذهول ويشكرنى على اتصالى بالهانم وأن أشرف بيه بيكرر شكره لى ويدعونى لزيارته فى الشركة. وعدت إلى منزلى وما زالت كلمات نانى هانم تزاحمنى وتسيطر على تفكيرى.

كيف هذا الأسلوب والتحرر والمعاملة؟!

كيف يسير التحرر الزائد والدلع والشياكه مع الرجل الوقور صاحب الشركات العديدة الكبيرة قوى فى السوق.

كيف؟! وكيف؟! ولماذا؟!

ربما لأنه يكبرها بما يزيد على عشرين عامًا

ربما لأنه مازال يرتدى جلباب ابيه وزيه التقليدى..

ربما لأنه مش الشاب الروش الذى يرتدى الجينز والقميص المشجر صارخ الألوان ويتدلى على صدره سلسله غليظة..

أنها حقا جميلة وفاتنة لكن..!

أخرجتنى زوجتى من هذا.. بعد إعدادها طعام الغداء وتجهيزها للسفرة.

ولم تمض عدة أيام وأنا فى عملى تتصل بى نانى.

أيوه يا احمد.

مين يا فندم..

أنا نانى يا حماده

تأمرى حضرتك.

ايه افندم وحضرتك انت بتفكرنى بشكرى سرحان وعمر الشريف فى الأفلام الكلاسك بتاعة زمان. خليك مودرن وبلاش الألقاب والعبارات القديمه دى.

تأمرى اى خدمة..؟

يا سيدى متشكره مش عاوزه ايه خدمه يا سيادة المأمور انا عزماك عندى فى الفيلا يوم الخميس الجاى .

بس انا..

قبل ماتتكلم انا مش عازمك لوحدك انا عامله بارتى وعازمه كل اصدقائى وصديقاتى وانت دلوقتى ضميتك للشله ايه رأيك..؟

بس يا هانم...

متبسبسش اكتب العنوان والعنوان ميتوهش لو انت جاى من المطار بعربيتك هتدخل بعد مساكن شيرتون

انا ممعيش عربيه..

خلاص عنوانك ايه هبعتلك السواق يخدك من البيت.

لا.. لا.. خلاص انا هصرف. متشكر على دعوتك يا...

اوع تقول هانم

وتنتهى المكالمة وتتعدد المكالمات لعدة ايام متتالية

لأفاجأ بوجود الأستاذ مجدى فى صالة السفر قبل الحفل بيوم واحد

ايه يا استاذ مجدى تأمر أيتها خدمه

لا متشكر يا استاذ احمد اشرف بيه كان مسافر ولسه الطيارة طلعه دلوقتى

اشرف بيه مسافر ومش هيحضر حفله المدام.. نانى هانم.

نانى هانم وايه اللى عرفك ان فيه حفلة بكره

هيه كلمتنى وعزمتنى.

كلمتك وعزمتك؟

أيوه يا أستاذ مجدى

وانت هتعمل ايه هتروح ولا ايه

هعمل ايه يا استاذ مجدى طبعا مش هروح انا اجننت

عين العقل يا استاذ احمد .

انا بحذرك منها نانى عايشه حياتها بالطول والعرض

وجوزها يا استاذ مجدى

جوز مين يا عم هو مش فاضلها ملخوم فى اشغاله وهيه عاوزة تعيش حياتها مع أصدقائها وصديقاتها

أصدقائها وصديقاتها يا استاذ مجدى؟

ايوه عاوزه تحس انها لسه عيله عايشة سن المراهقة.

فعلا يا استاذ مجدى سنها لا يتعدى العشرين.

اجوزها اشرف بيه وهى فى اخر سنه فى الجامعه الامريكية وابوها متوفى وامها سيدة مجتمع معروفة..

نانى انسانه حلوه وجميله وبريئه وتحس انها طفله.. مراهقه.. بس مش ماشيه مع اشرف بيه..

فعلا يا استاذ احمد جوازه كانت غلطه.

دنيا دع الملك للمالك.. سلام عليكم

مع الف سلامه يا استاذ مجدى

ويأتى يوم الخميس وانا فى عملى الورديه المسائيه وتتصل بى نانى...

مجتش ليه يا احمد..

انا اسف عندى شغل..

شغل ايه يا احمد ده كلام انا هبعتلك العربيه واستأذن او اعمله اجازه.

لا يا هانم لو سمحتى يا نانى

ايوه كده بلاش هانم والكلام الثقيل ده

لو سمحت يا نانى انا مقدرش اسيب شغلى وبعدين انا مبحبش الحفلات دى خالص.

خلاص يا سيدى بلاش الحفلات الجماعيه دى اشوفك مرة ثانيه لوحدينا زى ما انت عاوز..

من فضلك يا نانى انا متجوز..

وايه يعنى متجوز مكلنا مجوزين احنا اصدقاء

يا مدام من فضلك حضرتك فهمتينى غلط..

لا يا استاذ احمد انت الى فهمتنى غلط وانا غلطانه انى اتصلت بيك ومش هتصل بيك مرة ثانيه. مع السلامة.

ووضعت سماعه التليفون وانا قلق لهذه المكالمة هل انا أخطأت؟... هل انا رجعى وفلاح قفل لا اجيد الإتيكيت...؟!

إنى أخاف الله رب العالمين كيف أذهب الى بيت رجله غير موجود؟!

وعملى حساس لا بد أن أحافظ عليه حسن السمعة كنز لا يفنى!

وتنقطع أخبار نانى هانم وأشرف بيه ولم تمض عدة شهور ويقابلنى الأستاذ مجدى وأسأله عن أشرف بيه فيخبرنى بانه طلق نانى وتزوج بأخرى وأن نانى تزوجت شاب يكاد يماثلها فى السن ومن شلتها..

فقلت الحمد لله على زواجنا الأبدى الذى أثمر وسيثمر أولادًا؛ لتكتمل الأسرة التى من أجلها شرع الزواج.

٢٠٠٩/٩/٩م

زوجتى أمريكية

كنت الولد الأوحد على ثلاث بنات رزق الله عز ـ وجل ـ بهن أبى وأمى فكان الاهتمام الزائد عن الحد والتدليل وحب أخواتى البنات والاحترام المتبادل كما ربانا أبى.

أبى ينحدر من عائلة صعيدية متأصلة ومحافظة على التقاليد الموروثة جاء للقاهرة؛ ليكمل تعليمه وتعرف على أمى وتزوجا وعاشا فى القاهرة وعمل مهندسًا فى إحدى الشركات حتى وصل إلى رئيس مجلس إدارة الشركة...

عمى سافر إلى أمريكا منذ سنوات عديدة لم أره إلا مرة واحدة عندما جاء ليتزوج وعاد هو وزوجته المصرية مرة أخرى إلى أمريكا ويتعدى خمس سنوات وواصلا النجاح ورزقهما الله ببنت واحدة لم أرها إلا من خلال الصور فقط...

تفوقت فى دراستى وكان حلم أبى أن أصبح ضابط شرطة أو ضابط فى القوات المسلحة. حلم يراود كل الريفيين وكان والدى متأثرًا بنشأته الريفية وكانت أمى القاهرية ترفض ذلك خوفًا على حياتى! لكنها الأقدار وأدخل كلية الشرطة وأتخرج بتفوق وأنجح فى عملى وأحاط بكل الود والمحبة من كل زملائى ورؤسائى لدرجة أن عرض على أحدهم أن أتزوج ابنته بحجة تمسكه بالمثل الشعبى: (اخطب لبنتك وماتخطبش لابنك) لكننى فوجئت بأبى يعرض علىَّ أن أتزوج بنت عمى.

كيف ذلك يا أبى..؟

حلوة وجميلة وخريجة اقتصاد وعلوم سياسية.

يا بابا أنا مقلتش حاجة... بس....

بس إيه يا بنى..؟

يا بابا دى عايشة فى أمريكا...

هتيجى تعيش معاك فى مصر..

ازاى يا بابا..؟

زى الناس عادى جدا...

يا بابا أنا معرفهاش عمرى ما شفتها.

يا سيدى ماتخفش هية متربية كويس قوى.

طبعا يا بابا..

وعمك حسين كان مدخلها مدارس عربى ومحتفظ بالتقاليد.

كل ده كويس قوى يا بابا لكن مش كده.

عمك حسين وزوجته وسلوى هيوصلوا يوم الإثنين الصبح مطار القاهرة هتكون شغال ولا.....

يا بابا لو مافيش شغل هروح مع حضرتك نقابلهم..

خلاص اعمل حسابك على كده.

حاضر يا بابا..

وانهى اللقاء مع أبى فى انتظار زوجة المستقبل وتصل طائرة مصر للطيران القادمة من نيويورك وأنا وأبى واقفان بالقرب من باب الطائرة يخرج الركاب واحدا تلو الآخر يخبرنى أبى بوصولهم... عمى وزوجته وسلوى خطيبتى على نهج أبى إنها ـ حقًا ـ جميلة جمالاً يخيفنى يتجهون إلى فيلتهم التى شيدها أبى لعمى فى مدينة الشروق بالنقود التى كان يرسلها عمى لأبى خلال السنوات الماضية ولم تكن فيلا عادية بل قصرًا من قصور ألف ليلة وليلة وكنت أظن أن أبى متمسك بزواجى من بنت عمى من أجل المال وهذا القصر والعزبة التى اشتراها أبى لعمى فى محافظة القليوبية لكن عندما رأيتها

تمنيت أن تكون الصفات الأخرى تقرب من مستوى جمالها الخلقى..

وبدأت أتقرب لسلوى فى جلسات خاصة عائلية وبدأنا نخرج معًا لزيارة الأماكن السياحية بناء على توجيهات أبى وعمى..

وتم تجهيز شقتى المكونة من مستويين على طراز يليق ببنت عمى لتمكث فيها عدة أيام ننتقل بعد ذلك لفيلا عمى ليتركنا ويعود إلى عمله وحياته فى أمريكا..

ويعقد القران ونذهب إلى مدينة شرم الشيخ لقضاء أسبوع العسل بناء على رغبة سلوى...

ونعود بعد ذلك لنمكث فى فيلا عمى بعد أن سافر هو وزوجته..

وتمضى الأيام وأنا سعيد بزواجى من سلوى، وسلوى سعيدة بزواجها منى. أحسست بذلك من حديثها وكلمات الحب وإجادة فن الإمتاع.

وتنتهى فترة عودتى إلى عملى. وغيابى خارج البيت فترات كانت فى البداية قليلة حرصت على الاستئذان لأتواجد معها دائمًا؛ ثم أصبحت فترات طويلة كنت أعوضها بقضاء أوقات جميلة داخل البيت وخارجه.

فسلوى لا تجيد الطهى فكان آكلنا كله من خارج البيت أو من عند ماما أو عزومات عند أخواتى البنات...

حتى ظهرت علامات الحمل على سلوى والتى أكدها طبيب النساء ففرحنا جميعًا بذلك حتى عمى وزوجته غمرتهم السعادة بهذا الجنين وكان اتصالهم شبه يومى. بل إنه يومى من خلال النت صوت وصورة...

ولم يمض الشهر السادس على الحمل حتى فوجئت بزوجتى سلوى تستعد للسفر لأمريكا.

لماذا؟! هذه تعليمات أمها وأبيها.

لمتابعة الحمل فى الشهور الأخيرة هناك وتلد هناك: ليحمل المولود الجنسية الأمريكية وتسافر زوجتى وأودعها على سلم الطائرة ... وكنت أتمنى ألا أتركها تسافر وحيدة لكنها الظروف: ظروف عملى التى تحرمنى الحصول على إجازة وأنا لا أستطيع ان امنعها من السفر؛ فالسفر خير لها ولمولودنا..

وتلد زوجتى ابنا لنا أسميناه يوسف على اسم عمى

شاهدت ابنى من خلال شاشة الكمبيوتر عن طريق شبكة الانترنت...

وتمكث زوجتى ثلاثة شهور آخرى بعد الولادة...

وتعود إلى القاهرة هى وابنى يوسف بعد هذا الغياب الطويل..

نستقبلهم فى المطار أنا وأبى وأمى وأخواتى فرحين بقدومهم...

ولم يمض أيام قليلة حتى فوجئت بسلوى تحدثنى

انا مش هعرف اعيش فى مصر تانى..

ايه الكلام ده..؟

دى الحقيقة أمريكا حاجة تانية خالص.

والحل ايه؟

ان نسافر كلنا ونعيش هناك.

انت عارفة شغلى معرفش آخذ اجازة.

سيبه...

اسيبه ازاى..؟

قدم استقالتك والشغل مع بابا هيعجبك قوى هناك

يعنى انت يا سلوى مجهزة كل حاجة.

فعلا بابا مجهز لك الوظيفة هناك.

وظيفة ايه؟ وانا راجل قانون لا أجيد آشياء أخرى.

انت عارف الشركة بتاعة بابا وانا بديرها مع بابا والأعمال الإدارية كتيرة تختار ما تريده.

على العموم هفكر...

مفيش وقت. أنا هقعد شهر معاك وهرجع أمريكا ابننا لازم يتربى فى أمريكا..

وتتركنى سلوى لأحدد وأتخذ أخطر قرار فى حياتى..

هل أستقيل وأسافر لأمريكا..؟! أم ..... أم....!

وماذا سيفعل أبى وأمى وأخواتى عند سماع الخبر؟!

٢٠٠٩/٩/٩م

••••••••••

أنين الخطيئة

فى مقابلتى مع رئيسى فى العمل أشاد بمجهودى وتطويرى فى آليات العمل وأخبرنى بترشيحه لى بالسفر للخارج بصحبة زميل آخر؛ وحتمًا على الاستعداد لذلك من كل الجوانب أوراقى وأبحاثى ومن ناحية أسرتى زوجى وأولادى.

هل استطيع السفر والبُعد والفراق عن أسرتى منذ أن تزوجت منذ خمسة عشر عامًا لم افترق عن زوجى وأبنائى... كان سفرنا صحبة سواء فى الداخل أو فى الخارج.

قضينا شهر العسل متنقلين أنا وزوجى بين أكثر من عاصمة آسيوية وتكررت السفريات إلى المدن الأوروبية بصحبة زوجى وعندما رزقنا الله بكريم وسلوى انضما إلى قافلتنا فى السفر والترحال لا يوجد مكان سياحى فى جمهورية مصر العربية إلا

تمتعنا بزيارته من الإسكندرية للساحل الشمالى للأقصر وأسوان وأبو سمبل إلى الغردقة وشرم الشيخ.

إنى أحب زوجى وأولادى وهو يحبنى ويحافظ على مشاعرى ويشجعنى على النجاح فى عملى...

نعم الزوج الذى تنشده أى فتاة، صاحب أحاسيس فياضة يبذل أقصى ما عنده لإسعادى أنا والأولاد ومع هذا هناك بعض الأشياء حالت دون أن تكتمل سعادتى أنا الشخصية ومع هذا أنا راضية ومكيفة نفسى على هذه الإمكانيات. لا تعكر صفو حياتى إلا عندما يجمعنى اللقاء مع صديقاتى ويحكين عن أشياء خارقة تحدث بين الأزواج أو بالأحرى تحدث بين العشاق إذا عجز أحدهم عن تنفيذها ولم تكن هذه الحكايات تأخذ من حيز تفكيرى إلا القليل القليل من الوقت لتركيزى فى عملى وإسعاد زوجى وأولادى.

ويقترب ميعاد سفرى؛ يضطرب حالى وتسوء حالتى النفسية أشعر بانقباض فى عضلات جسدى المختلفة خصوصًا عضلة القلب وينتابنى شعور غريب بأنه سيحدث مكروه لى أو لزوجى أو لأولادى.

لقد استحوذ على تفكيرى فوبيا الخوف من السفر.

ماذا أفعل ! أأعتذر! كيف ذلك؟

واسمى سُجل فى المتحدثين بالمؤتمر وحضورى مهم جداً وتم حجز تذاكر الطيران والفنادق...

لا بد من المواجهة! لا بد من السفر والتغلب على كل الهواجس التى تنتابنى وطرد الأفكار الشيطانية التى تزورنى بكثرة خلال هذه الفترة الأخيرة.

يساعدنى زوجى وأولادى بتبسيط هذه الأمور العائلية وأن الأسابيع الثلاثة مدة المأمورية ستمر كسرعة البرق والأيام بتجرى ومتشليش همّ الأولاد مامتى ومامتك وأختك وأخواتى موجودون، مفيش مشكلة وأنا ياستى ملخوم فى شغلى ويادوبك باجى أنام وبيتكرر ذلك كل يوم...

وتحين ساعة السفر لحظات الفراق صعبة وكأننى سأموت ذاهبة للموت أودعهم آخر وداع مش هشوفهم تانى أبداً...

لم أستطيع السيطرة على دموعى التى تدفقت بغزارة أمامهم واستمرت طوال وجودى بالمطار عند إنهاء زميلى لإجراءات السفر ونستقل الطائرة ويواسينى ويشد من أزرى زميلى؛ لأكف عن البكاء ويخرجنى النوم المتقطع من هذه الحالة لفترات استمرت طوال رحلة الطيران التى استمرت ما يقرب من اثنتى عشرة ساعة طيران متواصل....

ووصلنا إلى هناك. وما أدراك ما هناك؟! السرعة والدقة فى كل شىء. المؤتمر سيبدأ غدًا والجدول كذا وكذا والسيارة ستكون فى الانتظار الساعة كذا و..... و.....

وفور صعودى إلى غرفتى فى الفندق اتصلت بزوجى وأولادى لأطمئن عليهم وأطمئنهم على سلامة وصولى ويمر اليوم الأول فى المؤتمر من الصباح حتى المساء. عمل شاق لأصل إلى غرفتى منهكة أجهز عمل الغد وأنام وهكذا استمر الأسبوع الأول، ويأتى يوم العطلة لنستعد للأسبوع الثانى وكان برنامجًا محددًا زيارة أماكن سياحية ترفيهية وعلمية.

وتحدثت لزوجى وللأولاد وانتابنى بكاء شديد بعد حديثى هذا وأنا أمكث فى غرفتى وحيدة ولم تمض برهة إلا وسمعت طرقات على باب غرفتى إنه زميلى جاء ليسألنى عن الإعداد ليوم الغد وماذا سنقدم فى هذا الخصوص.

وجدنى أبكى...

إيه فيه حاجة

لا مفيش

ده عينيك حمرا وشكلك تعبانه قوى

الأولاد والفراق صعب وأنا تعبانه قوى.. قوى

ياستى فاضل أسبوعين وهيجرو زى الأسبوع الأول ما جرى.

أنا مش عارفة هستحمل الأيام اللى جاية دى ازاى..

انتى مخلية الدنيا سودا خالص... افتحى التليفزيون شوفى اتفرجى على أى قنوات تعالى ننزل نلف شوية فى شوارع المدينة نتفرج على المحلات...

لا أنا مش قادرة أنزل.

طب افتحى التليفزيون.. ادى يا ستى فتحتهولك أهو.

إيه ده... لو سمحت اقفله مناظر صعبة قوى..

أنا آسف ده شىء عادى هنا وحضرتك عارفة..

حضرتك كنت عاوز حاجة..

كنت هسألك ولا بلاش بقى الصباح. خاصة وأنا شايفك تعبانه قوى..

فعلا أنا تعبانة جدا تصبح على خير..

وانت من أهله..

وبعد خروج زميلى من حجرتى جربت على التليفزيون لأكمل الفيلم المعروض وأعيش معه بكل حواسى واجتهد فى المعايشة مع الأبطال حتى وصلت إلى النشوة التى أراحتنى كثيرا....

وتكررت المشاهدة يوميا بل حرصت على الوجود فى غرفتى لفترات طويلة لاستمتع بالمشاهدة ولأشبع رغبتى..

حتى جاءنى زميلى الذى يصغرنى بخمس سنوات على الأقل ليسألنى عن أشياء خاصة بالمؤتمر وأحس به أغلق التليفزيون بعد أن كدت أصل الى إلنهاية..

اتفضل يا فتحى.

أنا جيت فى وقت مش مناسب

لا اتفضل. ويجلس بجانبى.. يحدثنى وأحدثه

أشعر بأنفاسه المتلاحقة وسخونتها..

أشم رائحتها... تمتلكنى الرغبة الجامحة. أبتعد..

ثم أقترب... أتحجج بعمل أشياء نشربها...

ثم أعود إلى جواره.. أشعر بتأججه واحتراقه.. بقربه... أسلم نفسى له.. لقد سلبت إرادتى. يمسك يدى.. يقبلنى قبلة طويلة...

الصمت يسود.. تتبعها قبلة أخرى... أضاعت كل شىء.. يحتوينى وأحتويه بأجساد تحترق تحت لهيب أنفاس متعطشة فى غرف مغلقة فى بلاد الشياطين تبث الرذيلة لمن يريدها.

لقد وجدت فى هذا الشيطان ما كان يحكيه لى الصديقات من حكايات يصعب على الأزواج تحقيقها.

وما نشاهده فى الخفاء لإشباع رغبات مكبوتة يقوم فتحى ويلملم ملابسه ويرتديها ويتركنى مستلقية على السرير فى حالة مزرية ويخرج من غرفتى وما زال الصمت يسود!

لا أعرف كم استغرقنى من الوقت..! لأصحو وآخذ حمامى وأستعد للذهاب إلى المؤتمر..

يتصل بى زميلى فتحى من حجرته فى الصباح الباكر للذهاب إلى العمل نتقابل فى بهو الفندق...

أنا آسف على اللى حصل امبارح.

مش وقته الكلام فى هذا الموضوع يا فتحى.. نتكلم بعدين.

اتفضلى.. السيارة واقفة أمام باب الفندق...

ونذهب إلى المؤتمر وكان يومًا حافلاً بثناء جميع الحضور من كل بلدان العالم بفكرى وعلمى البارع وطريقة عرضى للموضوعات والتصفيق الناتج عن اقتناع الحضور بقيمة العمل الذى يعرض أمامهم..

وفرحت بهذا وأحسست بقيمة ذاتى وقدراتى..

ويأتى المساء بكل همومه وأشجانه.

زميلى فتحى فى غرفته حائر بين فعلته بالأمس وكيف يصلحها!

وأنا ضائعة فى غرفتى أعيد وأتذكر ما حدث بالأمس وما وصلت من نشوة لم أعرفها من قبل، وبين القيم وكيف جرؤت على اقتراف الخيانة، أبعد هذه السنين من الزواج الشرعى أقع فى هذا؟!

لم أفعلها قبل الزواج.. أأفعلها بعد الزواج؟!

لقد مرت عدة ساعات ولم يتصل بى فتحى من حجرته..!

يوسوس لى الشيطان بتكرار التجربة ومحدش شايفنا

أتصل بغرفته... يرفع سماعة التليفون... الصمت يسود

طبعا انت...

ايوة أنا.. مجتش ليه!

آجى فين؟

فى غرفتى.

كفاية اللى حصل امبارح..

تعال بس مش هينفع الكلام فى التليفون.

يا أستاذة....

إيه أستاذة دى.. تعال بس أنا مستنياك.

وقمت على الفور لأجهز نفسى واستعد للقاء وأنسج أحداثه من أحداث الأمس وما سأضيفه من قدرات خاصة ويصل شيطانى إلى حجرتى ويدخل ويسود الصمت وتتحرك المشاعر وتتلاحم الأجساد لتحترق وتفرز أشياء لتخمد هذا اللهيب ليصبح رمادا فوق بركان متأجج ليعاود الاشتعال مرات عديدة ليخمد من جديد...!

وتأتى الليلة الأخيرة للمأمورية لنمكث فترات طويلة لم أمكثها مع زوجى لنشبع رغباتنا.. لنخمد البراكين المشتعلة التى ربما تثور ولا تجد من يخمدها بعد ذلك...

فتحى أنا حبيتك ومش هقدر أستغنى عنك.

طب وجوزك وعيالك.. وخطيبتى وجوازى بعد شهور.

مش عارفة..

انسى بقا يا منال.

ازاى انسى دى احلى ايام عشتها فى حياتى.

وانا كمان عمرى ما هنسى اللحظات الجميلة اللى قضيناها سوى.

بس انت طلعت استاذ ورئيس قسم! اتعلمت ده فين!

شىء طبيعى وقدرات خاصة.

يا بخت خطيبتك بيك.

وانتى استاذه كبيرة قوى تجيدى وتبدعى انتى شاطرة فى كل حاجة بتعمليها.

ده يا استاذ اسمها الجودة فى كل شىء مش ده كان هدف المؤتمر العالمى..

صحيح الجودة.. اسيبك تنامى عشان السفر بكرة .

متخليك شوية انا مش جيلى نوم..

كفاية كده.. عشان تفتكرى جوزك وولادك اللى انت نسيتيهم بالمرة...

مهما كانوا بيتصلوا...

تصبحى على خير..

وانت من اهله..

ونعود إلى المطار الدولى لبلدتنا.. زوجى وأولادى فى استقبالى وخطيبة فتحى فى استقباله ويذوب الوداع وسط زحام المستقبلين.

ونستقل سيارتنا لننطلق الى العش الشرعى الذى كاد يُهدم وتنطلق سيارة خطيبة فتحى محلقة فى أجواء نظيفة يسودها هواء نقى طيب على أمل إعداد هذا العش الجديد.

نصل إلى بيتنا بعد غياب وفراق اختلطت واختلفت المشاعر من يوم إلى آخر..

أسعد بأحضان أولادى يفرحون بالهدايا التى أحضرتها لهم ونتبادل الحديث عن هنا وهناك..

ويأتى المساء ليجمعنا السرير الواحد.

ايه ما وحشتكيش.

طبعا وحشتنى.

امال مش باين فين لهفتك واشتياقك.

ده انا كنت بفكر ازاى هتستحملى الأيام دى من غيرى!

بس انا تعبانة شوية من مشوار السفر..

ماشى يا حبيبتى انا مش مشكلة انا كنت عامل حسابك.

بكرة يكون استريحت من المشوار.

وانبسطت فى السفرية دى يا منال.

قوى يا حبيبى قوى..

مش انا قولتلك السفر فيه فوائد كثيرة قوى

فعلا كلامك مظبوط.

ايوة يا منال بتزداد خبرتك وتكتسبى مهارات جديدة

لك حق فعلا اكتسبت مهارات جديدة خالص.

هتفيدى شغلك وهتفيدى نفسك.

فعلا الكل هيستفيد من خبراتى دى.

أسيبك تنامى وهنام انا فى الأوضة التانية.

ماشى يا حبيبى.

حمد لله على السلامة ونورتى بيتك وتصبحى على خير.

وانت من اهله.

وتحججت بتعبى وتهربت من زوجى حلالى.

وامتكلنى تأنيب الضمير.. ما ذنب هذا الرجل الطيب الذى وثق فى وسمح لى بالسفر وحدى وتحمل غيابى ولا يعلم بما حدث.. لقد سقطت فى بئر الخطيئة، وهى بئر سحيقة لا ينجو من يقع فيها.. ! وغالبا يستسلم لما وصل إليه.... كنت أعرف أن الخطيئة نهايتها هى التوبة ويأليتها كذلك لكن التوبة أرخص شىء يعطى.. وأن الغفران أعز شىء يُمنح.. ماذا أفعل....

لا بد أن أتخلص من الشيطان الرجيم الذى احتوانى .

لا بد أن أطرده... لقد وجد الشيطان ضالته .. جسد لا تحميه القيم الروحانية ولا دين يعصمه....

لقد خاصمنى النوم فى هذه الليلة الأولى بعد مجيئى من بلاد الشياطين واشتعلت النار فى جسدى وأصبحت كالمجنونة... ماذا أفعل..!

مَنْ أنا؟.... نعم انا انسانة متعلمة ومثقفة وأجيد.... وأجيد..

لكن كل ذلك لم يعصمنى من الخطيئة.

ربما البيت الذى تربيت فيه... أبى... أمى..

بيت خالى من تعاليم الأديان..

نعم الطيبة ومحبة الناس.

نعم الإخلاص وحب العمل ومساعدة المحتاج .

لكن أين جوامح وضوابط الغرائز الجسدية.

وأين ضابط أهم غريزة حيوانية.

لا كابح لها ولا ضابط إلا الرجوع إلى تعاليم الأديان السماوية.

لقد مرت شهور وأنا فى حرب ضارية مع الشيطان.

وانتصرت عليه بفضل القُرب إلى الله والتوبة النصوحة والعزم على ألا أقع فى مثل هذه الخطيئة مرة أخرى..

لكن أنين الخطيئة يقتلنى وصكوك الغفران نفدت منى

فهل تقبل توبتى؟!

٢٠١٠/٣/٢٤م

••••••••••

الزيـارة الأخيـرة

أراه كثيرًا فى شكل ثابت يصوب نحوى أشياء متعددة قاتلة نحو صدرى ليقتلنى ليزهق روحى.. يظهر لى فجأة أثناء جولاتى ورحلاتى فى الأماكن الخلوية وأحيانًا أخرى وسط الناس ويختفى ولا يراه أحد غيرى. أحقًا أنه يخطئ التصويب فى كل هذه المرات عن قصد بغرض إخافتى أم أنها إرادة الله..؟

أسرد ما أراه لمن حولى منهم من يصدقنى وهم قلة وأكثرهم لا يصدقون ويتهموننى بالجنون .

القلة هذه يحسبوننى أنسج ما أراه فى كوابيس نومى وعندما أؤكد لهم رؤيته وأنا مستيقظ وأعى ما أراه ينضمون إلى الكثرة....!

لا بد من الذهاب إلى طبيب نفسى للعلاج!

ذهبت إلى الطبيب دون جدوى أين العلاج يا طبيب!

اقترح من حولى الذهاب إلى الإسكندرية.

لتستريح أعصابى وتذهب هذه الأفكار والرؤى الغريبة من مخيلتى..

ذهبت واستمتعت بكل شىء هناك الهواء النقى والمياه الزرقاء والطبيعة الجميلة ولإشباع هواياتى بزيارة الأماكن الأثرية. زرت متحف الإسكندرية ومكتبة الإسكندرية.. وقبل مغادرتى بيوم واحد ذهبت لزيارة قلعة الإسكندرية وفنارها القديم وعندما كنت أنظر لنهاية القلعة العلوية وجدته واقفًا حقًا يرتدى الثوب الأسود يخفى وجهه يصوب ناحيتى سهمه القاتل، ينحبس صوتى أستغيث.. لا يسمعنى أحد يصيبنى السهم فى صدرى. أضع يدى مكان اختراق السهم أحس بالألم.. أنظر إلى يدى لا أجد دماء.. كيف اخترق السهم صدرى..

لماذا لم أمت.. أقف أنظر إلى نفسى أتفحص باقى جسدى .. أنظر إلى من حولى...

أجرى ناحية الفنار.. أحاول تسلق درجاته لأصل لهذا الشبح المميت.

يمنعنى الحارس .. يضيع الوقت .. يضيع كل شىء

وأعود إلى القاهرة.. إلى بيتى... أكاد أجن ..

يقولون لا بد من الذهاب إلى الدجالين و... و...

كيف ذلك! وأنا من يحارب ذلك!

لقد لبسك الجن.. ولا بد من علاج..!

الخوف كل الخوف أن يظهر لك... فى مدرج الجامعة أمام أعين الطلبة والطالبات...! ماذا تفعل حينذاك!

مستحيل أن أذهب إلى الجهلة والنصابين..!

علاجك عندهم... والشفاء عندهم أنت حر!

نعم انا حر والشفاء من عند الله وليس بيد هؤلاء

لكن أنا لست مريضًا! انا معافى يا من حولى.

ولا بد أن أثبت للجميع أنى على الصواب.

وأن ما أراه حقيقة وليس سرابًا.. ولا جنًا.. إنه....!

الله أعلم بحقيقته. لكن لماذا يلاحقنى أنا بالذات!

وفى أحد أحياء مدينة المعادى ذهبت لأرى الشقق الجديدة التى تعلن عنها إحدى شركات التعمير.

بينما أنا اسير وسط أبراج مشيدة وجدته واقفًا فى شرفة الدور الأخير يصوب نحوى السهم القاتل جريت نحو مدخل هذا

البرج المشيد وتسلقت درج العمارة بسرعة يكاد قلبى أن يقف..

لا بد أن أصل إلى الدور الأخير.. وأبحث عنه فى كل شقق هذا الدور... وجدته.... مش ممكن.. شكل مخيف.. احتوانى الرعب... حاولت الهرب استدرت لأخرج من الشقة المرعبة... لقد غُلقت الأبواب. كيف دخلت إذن!

أصوات مرعبة .. أستغيث ... أستغيث !

الحقونى... الحقونى... هيموتنى... هيقتلنى...

محدش هيسمعك....

انت مين... وعاوز منى ايه...

أنا اللى بيخاف منى كل البشر.. مش انت بس

حضرتك عفريت من الجن..

انت راجل متعلم ومثقف ودكتور فى الجامعة..

انا اسف.. حضرتك مين بالظبط..

مقلتلك الناس بتخاف من ايه.. وانت خايف من ايه!

من الموت..

ليه بتخاف من الموت..

لان الحياة حلوة..

مين أدراك ان الحياة حلوة..

محنش عارفين... يبقى حضرتك..

ايوة...

فعلا الناس بتخاف منك..

انا مش عارف ليه.. ودى وظيفتى المكلف بها من قبل رب العباد.

يعنى حضرتك... انا خلاص...

انا معرفش... لا اطلع على الغيب... كل يوم هو فى شأن!

وظهور حضرتك ليه أكثر من مرة...

اوامر عليا.... لتتبيهك..

فعلا احسب نفسى مت.. اجد نفسى حى.

الارواح فى علم الغيب لا يعلمها الا الله عز وجل .

ماذا افعل...!

افعل الخير الكثير وتوب من ذنوبك الكثيرة...

ذنوبى.... انا .....

متكدبش كل شىء مكتوب فى كتاب مبين...

وحضرتك ظهرت فى اوقات كنت بفكر...

ولم ترتكبها...

فعلا حمدا لله...

حاسب نفسك قبل ان تحاسب...

ماذا افعل..!

انت عارف....

يعنى لسة فيه وقت...

الله اعلم...

مش حضرتك قلت انك مكلف بمهمة...!

تعرف تبطل كلام.... احسن..

حاضر... بس افتحلى الابواب..

الباب مفتوح هو انت مش شايف...

يعنى ممكن امشى...

ممكن..

هشوف حضرتك امتى!

عند تكليفى بالمهمة الخاصة بيك.

امتى..

هتغلط تانى وبتكررها.

انا اسف.

جهز نفسك للرحيل.

يعنى مش هشوفك خالص.

هتشوفنى فى الزيارة الاخيرة.

لننتقل من حياة الدنيا إلى حياة الاخرة

• **الزيارة الاخيرة... الزيارة الاخيرة...**

اصحو من نومى... استعيذ بالله من الشيطان الرجيم... نبضات قلبى متلاحقة...

وفمى قد جف من لعابه... أذان الفجر. قمت أتوضأ: لأصلى وأقف أمام رب العباد لأول مرة فى الدنيا قبل وقوفى فى الآخرة بعد عمر قد ناهز الخمسة والأربعين ربيعًا...

تتعجب زوجتى... وتحمد الله على هدايتى وتسألنى عما رأيته فى منامى والكلمات التى كنت أتفوه بها وتسألنى عن الزيارة الأخيرة التى صحوت وأنا أتفوه بها.

قلت لها.. عافاك الله وعافانى.

وبارك الله فى عمرنا وعمر أولادنا.

فجر الجمعة

٢٠١٠/٤/٢م

المخدوع

تزوجت زواجًا تقليديًّا عن طريق المعارف والأصدقاء لانشغالى فى العمل فى الخارج منذ أن تخرجت فى الجامعة وأديت الواجب العسكرى...

مكثت مع عروستى فى عش الزوجية ثلاثة أسابيع وازدادوا أربعة أيام منحة من صاحب العمل هدية الزواج...

ثم تركت زوجتى وسافرت لأنشغل فى عملى نهارًا ويأتى الليل أحس بالوحدة القاتلة... لم أكن أشعر بها من قبل..

أشتاق لزوجتى... أحدثها من خلال التليفون... تشتكى لى الوحدة أيضا ولوعة الاشتياق... أطمئنها بقرب المجىء وأن أوراق قدومها ومكوثها معى تأخذ بعضًا من الوقت ولم تمض عدة شهور وتنجح محاولاتى فى الحصول على تأشيرة دخول لزوجتى للإقامة معى...

ونعيش أحلى أيام عمرنا... شباب وحيوية وإمكانيات مادية لم أحلم بها فى يوم من الأيام ووظيفة محترمة تدر الكثير من المال...

ويرزقنا الله بالبنت ونسعد بقدومها ويسعد بها الأهل والأصدقاء خلال إجازتنا الصيفية التى قضيناها بينهم.

ولم تمض السنة الثانية ويرزقنا الله بالبنت الثانية وأحمد الله على رزقه وتأسف زوجتى لعدم قدوم الولد وأنهرها على مقولتها وأطلب منها الاستغفار على تفكيرها الجاهل وأنا سعيد بما رزقنا الله وأن تدوم علينا نعمه التى تعد ولا تحصى..

وتكبر البنتان ولا بد من دخولهما مدارس خاصة ولم أبخل عليهما بل أدخلتهما أشهر مدارس موجودة فى هذا البلد الشقيق...

وبعد أكثر من خمس سنوات يرزقنا الله بالولد ليسعد به الجميع وتشير زوجتى لرغبتها فى المكوث بجوار الأهل والأصدقاء هى والأولاد وكفاها مكوث فى الخارج بصحبتى لأكثر من اثنى عشر عامًا...

أحقق رغبة زوجتى على مضض بعد أن اقنعتنى بأهمية ذلك لنستطيع أن ندخر لأولادنا ونؤسس الشقة التى اشتريناها أثناء سفرنا فى الأعوام السابقة...

وتمر الأيام والسنون ثقيلة بعد أن أصبحت وحيدًا لا أرى زوجتى وأولادى إلا فى الإجازات السنوية وأحيانًا يأتون للمكوث معى فى إجازتهم وأنا أحمد الله على ذلك...

لقد مر أكثر من ربع قرن من الزمان وأنا أعمل خارج البلاد عملت الكثير والكثير من الأموال واشتريت الأراضى وشيدت فيلا على أحدث طراز فى إحدى المدن الجديدة...

لكن... أين السعادة؟!... الأولاد يكبرون بعيدًا عنى فهل تُرى الأم ترعاهم وتقوم على تربيتهم وتغرس فيهم القيم التى كنت أتمنى غرسها فيهم؟

هل الأولاد يحبوننى كما كنت أحب والدى رحمة الله عليه... للأسف لا أجد ذلك، لا أقضى معهم سوى أيام معدودة كل عام ونصف أو أكثر.

أعيش بينهم كالغريب.. أحاول التقرب منهم أفشل فى أكثر المحاولات وبعضها يخيل إلى أنهم يتجملون ويصطنعون المحبة...

وهل زوجتى ما زالت تشعر بالوحدة التى كانت تشعر بها؟ وهل لوعة الفراق والحب والدفء والاقتراب ما زالت تسيطر عليها....؟

للأسف لم أعد اشعر بذلك لا من قريب ولا من بعيد حتى مطالبى وحقوقى الشرعية القليلة كنت أحرم منها بأسباب واهية وعندما تقترب الإجازة على الانتهاء تصطنع التزين وترضى غرورى وتؤدى دورها الأنثوى الذى كانت تجيده وتعشقه على أكمل وجه... كيف استغنت عن ذلك لفترات طويلة وقد كانت فى الماضى لا تستطيع أن تنام ليلتها الا بعد إشباع رغبتها بإتقان وبرغبة قاتلة..؟

لقد راودتنى الشكوك واحتوانى القلق على زوجتى وأولادى هل أترك عملى هناك وما أدراك ما هناك المركز المحترم والمال والأجر الكبير.. وأعود إلى هنا حيث لا وظيفة ولا مركز والحياة اليومية أصبحت لا تطاق...

تلوث كل شىء الهواء والماء والطعام والناس والقيم والأخلاق..

وعندما أحدث زوجتى وأولادى برغبتى فى العودة يرفضون ويحثوننى على الاستمرار لأننى جعلتهم من كبار القوم مدارس وجامعات خاصة وأندية لا يدخلها إلا الأغنياء ويركبون أحدث موديلات السيارات ويقطنون أرقى حى فى هذه المدينة الجديدة...

لكن أنا... ورضخت لرغبتهم وعادوت السفر والمكوث خارج البلاد لسنوات أخرى...

وفى إحدى إجازاتى السنوية المعتادة.. أحسست بأشياء تحدث أمامى وأسمع عنها بالصدفة وأستشفها خلال أحاديث زوجتى والأولاد خاصة البنات وصديقاتهن فى الجامعة الأمريكية... أكذبها... بل أحاول أكذب نفسى وأترك البلاد وأعود إلى عملى ولم تمض أيام قليلة من إجازتى . ويعجب زملاء العمل ويلاحظون توترى وشرودى ويتساءلون عن سبب عودتى ولم ينقض سوى أيام قليلة! ولم أستطع الرد بل يزداد شكوكى.. وأقرر الرجوع إلى بلدى دون أن أخبر أحداً بقدومى...

أصل إلى الفيلا... لا أجد أحداً... أضع حقيبتى... أبحث عن سيارة من السيارات الثلاث بالجراج... لا أجد... أستقل تاكسى وأذهب إلى النادى وفور وصولى إلى باب النادى ألمح سيارة تقودها زوجتى وبجوارها شاب لا يتعدى عمره الثلاثين خرجت مسرعة... لم ترنى...

طلبت من سائق التاكسى تتبع هذه السيارة وسأعطيك المبلغ الذى تطلبه وجاهد السائق ليلحق بها..

وكانت المفاجأة تقف السيارة أمام إحدى العمارات التى أملك بها شقة ومجهزة بكل شىء...

لم أستطع المواجهة والفضيحة.. طلبت من سائق التاكسى أن يرجعنى إلى الفيلا مرة أخرى...

وعدت إلى الفيلا منكسرا... لم أجد أحدًا... أين الأولاد...؟ متى ستعودين يا زوجتى...؟

ويمضى الوقت الثوانى والدقائق والساعات كأنها سنون طويلة يتملكنى الشيطان لأنتقم منها.. أتمالك أعصابى حتى أتت لم تشعر بقدومى لاستعجالها لأخذ حمام.

وفور خروجها من الحمام فوجئت بى..

الله إيه اللى جابك...

ايه اللى جابنى...

اقصد فيه حاجة خلتك جيت...

حاجات كتير قوى..

وهتقعد أد ايه...؟

الله اعلم... وانت كنت فين..؟

كنت فى النادى.. هروح فين يعنى!

والاولاد فين...

البنات فى رحلة فى شرم الشيخ والواد فى النادى.

البنات راحوا شرم الشيخ لوحديهم...؟

مع أصدقائهم فى الجامعة دا أسبوع واحد

وابنك فين المحروس ده مش راجل أبدًا.

مع زمايله وزميلاته فى النادى...

ومجاش معاكى ليه...

معاه العربية الفولفو..

وعربية البنات فين مش فى الجراج..

فى التوكيل بنتك قبل ما يسافروا بيومين عملت حادثة وشنطة العربية اطبقت أهم شىء سلامتهم..

كويس قوى...

وشقة مصر الجديدة أخبارها ايه..؟

كويسة.

آخر مرة رحتيها امتى..؟

ليه الاسئلة دى...؟

لو سمحتى جاوبينى...

انا جاية من هناك دلوقتى..

مش انتى بتقولى كنتى فى النادى...؟

أنا كنت فى النادى من بدرى... وبعدين ابن صاحبتى نانى قال لو سمحت يا طنط اروح معاكى فوصلته...

ونانى شقتها فى نفس العمارة..؟

ايوه ليه الاسئلة دى....؟

اصل فى واحد عايز يشترى الشقة دى...

وانت هتبيعها....؟ خسارة...

هفكر...

حمدلله على السلامة... ادخل اجهزلك الأكل..

لا مليش نفس هدخل انام شوية... انا تعبان من السفر

وأستغفر الله العظيم، وأدخل حجرتى وألقى بجسدى المنهك بدنيًا ونفسيًا والشك يعتصرنى؛ هل زوجتى تخوننى.. أم هى صادقة فيما تقول.. أم أنها احست فى الكلام الشك فأدارته بحكمة... الله أعلم...

ولم تمضى ساعتين الا واصحو على صوت سيارة ابنى يدخلها جراج الفيلا.. يدخل ابنى هول الفيلا تقابله زوجتى وتحسبنى نائما واسمع حديثهما...

خلى صوتك واطى...

ايه يا ماما فيه ايه...؟

ابوك وصل.. ونايم جوه...

ابويا.. وايه الى جابه ده...؟ مش لسا مسافر...؟

انا معرفش انا فوجئت زيك كده...

هيقعد ينطلنا كل شوية ويحبس حريتنا. هيقعد اد ايه...؟

معرفش...

انا هدخل اخذ حمام ونازل تانى يمكن اسافر الفردقة.

يكون ابوك صحى واستأذن منه..

من امتى يا ماما باخذ اذن انا وعدت زمايلى ولازم اخرج.

ويدخل ابنى بشهادة الميلاد ليأخذ حمامه بعد عربدته هو أيضًا وتطلب زوجتى البنتين لتخبرهما بقدومى ولا اعلم ماذا تقولان عنى ...

وتنتهى مكالمتهما ..

وأقرر قرارا نهائيا بأن أنهى عقدى فى الخارج وأقتل الممول المخدوع فى كل شىء وفى أقرب الناس إليه وأعود إلى أرض الوطن.. لأصحح الأوضاع ...

هل استطيع..؟ ربما...

وهل يعود الشىء كما كان قبل كسره..؟!

وهل يشفى المدمن بعد أن تعاطى المخدرات..؟!

وهل تروى الأرض بمياه نقية بعد أن تشبعت بمياه نجسة ملوثة ومتنوعة...؟!

وهل يستقيم الاعوجاج دون أن ينكسر..؟!

وهل يرضى الطائر بحبسه بعد ان ذاق حرية بلا حدود؟

وهل يستطيع المجروح أن يعيش وسط جارحيه..؟

وهل... وهل...

٢٠١٠/٤/٨م

••••••••••

رجل واحد لا يكفى

تربيت فى بيت يعرف الفضيلة. تَشَبَّعْنا القيم والمبادئ من أمى وأبى وجدى وجدتى وسارت بنا الأيام تلو الأخرى وأتخرج فى الجامعة وأعين فى إحدى الوظائف فى القاهرة. شاب ريفى يعانى الأمرين فى المواصلات اليومية ذهابًا وإيابًا من عمله ماذا يفعل...؟! ومن أين..؟!

كان لا بد أن أتزوج زميلة تضع مرتبها على مرتبى لنكون عش الزوجية وخلال عامين وبمساعدة أهلى حصلنا على شقة وقمنا بتأسيسها وتزوجنا والحمد لله.

وكان عمل زوجتى بجوار مسكننا وهذا ما حرصت عليه عند شرائنا لهذه الشقة. أما مكان عملى فيبعد بكثير لكنه أرحم بكثير من مشوار قريتى.

كنت أخاف الله فى كل شىء أفعله .. أؤدى فرائضه وأأتمر بأوامره وأنتهى عما نهانا عنه وأحترم زملائى فى العمل لا فرق بين زميل ولا زميلة كلنا إخوة الاحترام متبادل والمجاملات فى حدود ...

لكن كان يوجد أربع زميلات يشكلن اتجاهًا آخرَ كنا نطلق عليهم شلة الأنس والفرفشة كن متحررات فى كل شىء يحدثنك فى أشياء يصعب تقبلها نراهن جالسات على إحدى المقاهى يتناولن الشيشة وفى مكان العمل يذهبن لأماكن المدخنين ليدخن وسط الرجال لا خوف من أحد ولا حياء..! ثلاث منهن متزوجات وعندهن أولاد .

أنجبت كل منهن واحدًا أو اثنين للحفاظ على نضارة أجسادهن والرابعة ترفض الزواج من أجل الحرية....

كنت أتجنبهن ولا أتحدث معهن فى أى شىء غير السلام والمجاملات التعبيرية فى المناسبات وكان أكثر الزملاء يتبعون ما سرت عليه إلا القليل ممن يلهثون وراء ضحكاتهن وتعليقاتهن التهكمية الساخرة.

ولم تمض أربع سنوات قبل أن تصاب الزميلة الآنسة بالمرض العضال ولا يبالى أحد أمام مقاومتها وإصرارها على عدم تغيير نسق حياتها ولم يمهلها القدر إلا اياماً قليلات، وتترك

شلة الأنس اللاتى لم يحزن إلا أقل القليل على عكس ما كنا نتوقع...

وأصبحت شلة الأنس ثلاث سيدات يمثلن ثلاثة أجيال منهن فى العشرينات أصغرهن سنًا والوسطى فى منتصف الثلاثينات والثالثة فى بداية الأربعينات..

فكن يتبادلن الخبرات ويتفنن فى إثارة الرجال خصوصًا الشباب وكن يعملن على ضم الفتيات والسيدات من مكان العمل وخارجه تحت شعار غريب وفكر متخلف زاد عن حده ولم يجدن من ينحيهن عنه شعارهم رجل واحد لا يكفى... يقلنها علنًا ولا حياء! أستغفر الله العظيم كيف يا زوجات وأين أزواجكن المحترمون تقول إحداهن أنا زوجى يعلم بخروجى ويسمح بذلك ليعوضنى عن غيابه المستمر عن البيت الذى قد يطول لأكثر من شهور. ولا يمانع..!

كيف يسمح بذلك يا مدام..؟!

هو بيسمح بالحرية دون أن يعلم بتفاصيلها...

مش فاهم..

يعنى ممكن يتصل بى شخص آخر بالتليفون وزوجى موجود وممكن يرد عليه ويديهولى دون أن يسأل عنه أو عاوز ايه.

حاجة كويسة خالص....

أصل انت متعرفش جوزى ده اسبور خالص.

يعنى ايه اسبور

يعنى بتاع عصره مش متخلف ومعقد..

برضه مش فاهم...

باختصار هو مدينى حريتى لأقصى ما تتصور.

وانت مدياه الحرية يعمل اللى عايز يعمله هو كمان؟

فعلا كلامك مظبوط بس انا عارفة امكانيته وهو شغله كل حياته....

لو سمحتى اسألك سؤال مخجل شوية....

اسئل براحتك...

هل جوزك مقصر من ناحيتك

مش مقصر خالص.. يجبلى احدث موديل كل سنة و...

يا ستى انت فاهمة قصدى ايه...

لا من الناحيادى مش مهم مقصر ولا مش مقصر الحلاوة فى التفيير.. ده متعة تانية خالص... أصل انت ماجربتش.

أستغفر الله العظيم.

مش انت اللى بتسأل وانا بجوبك بكل صراحة هو انت مبتشوفش الفضائية الإباحية والانترنت.

خلاص لو سمحت الحديث خد منحنى آخر من الكلام.

دايما الصراحة متعبة..

بس حرام عليك لأنها لسا صغيرة وجوزها شاب وعشان أولادها.

جوز مين يا حبيبى... الجوز أل

شاب وسيم وكله حيوية....

وانت اللى عندك حيوية خلى الطابق مستور

طب وايه ال....

مقلتلك بتحب تجرب وتعيش حياتها..

والثالثة اكبركم سنًا كنت بحسبها....!

مالها يخوى زى الفل.

لا أنا مقلتش حاجة بس إيه اللى خلاها كده

جوزها ربنا ما يسامحه أبدًا لما اتجوز عليها كسرها وفقدت توازنها وبتحاول تعيش.

هيه دى عيشة.

ومالها عيشتنا...

شعاركم يخالف كل الأديان...

هو احنا بنتجوزه..

امال بتعملوا ايه..

بنمتع نفسنا شوية وكل واحد يروح لحاله يمكن نتقابل مرة تانية ويمكن لأ ... نشوف غيره....

أفكار شيطانية.... ربنا يهديكم..

بقول لك ايه يا عم الشيخ روق كده...

مابتخافوش على سمعتكم..؟

مالها سمعتنا..؟

أو سمعة أجوازكم أو أولادكم ...

برضة بتكرر سمعتنا.. مالها سمعتنا..

هو احنا بنضرب حد على ايده عشان يمشى معانا..

دى حرية شخصية وماتجرحش على حد ...

حرية شخصية؟!

أيوه مش انتم يا رجالة بتقولوا زوجة واحدة لا تكفى...

مين اللى قال كده؟ ،

مش انت فيه رجالة كثير بتقول كده...

حتى ولو كلامك صحيح هناك الجواز الشرعى مثنى وثلاث ورباع بالحلال..

طب لو الراجل ده مش مسلم..

ماتدخلنيش فى أديان وعقائد..

انت اللى دخلت نفسك فى أشياء مش بتاعتك..

أنا بحاول.....

لا ياخوى متحاولش تانى.

أنا آسف..

أسفك معاك ياروح عنيه

وندمت على فعلتى

بالحديث معها وآثرت الصمت

وتجنب اللقاء

وحمدت الله على نعمه الزوجة الصالحة.

فجر الجمعة

٢٠١٠/٤/٩م

نشكر ربنا

عشت منذ طفولتى فى جو عائلى يسوده الحرية أو بمعنى ينطبق على حالتى أكثر أعيش بدون محاسبة أعمل أى شىء احصل على اى شىء أطلبه مهما كان واين كان لم اذق طعم الحرمان ولم أسمع عنه ولم أقرأ عنه ولم يخطر على بالى هؤلاء الناس الفقراء المحرومون من نعم كثيرة ربما حباهم الرب بنعم أخرى لم أذق طعمها!

أبى يعمل فى الخارج منذ زمن طويل وينتقل بين الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا .

امى تتقلد منصب قيادى فى بلدنا..

وأختى الكبرى والوحيدة تزوجت وهاجرت إلى كندا بصحبة زوجها الطبيب مثلها...!

وأنا انهيت تعليمى بالجامعة الأمريكية منذ شهور قليلة ولا أفكر الآن فى العمل.. لماذا!

لأنى معى الكثير والكثير ولا يضيف لى العمل إلا التعب والمشقة، ولماذا أعمل!

أسهر كل يوم فى مكان ما مع شلة الأنس وأعود الى فيلتنا وقتما أشاء وأظل طوال النهار نائمًا لاستعد لبداية سهرة أخرى من سهراتى الماجنة الفلوس كثيرة ولا رقيب ولا حسيب أنفق ببذخ على كل صديقاتى وأصدقائى.

يملك أبى أكثر من شاليه وفيلا فى الساحل الشمالى وفى العين السخنة والمنتزه بالإسكندرية واذهب إلى شرم الشيخ والغردقة وأسوان فى وقت الشتاء.

أستمتع بكل نعم الدنيا وامتع من يخلص معى من صديقات وأصدقاء ويا ويل من لا يخلص لى يحرم من هذا النعيم.

أنا مش بتاع جواز كل يوم بصحبتى واحدة ومش مهم مجوزة أو بنت بنوت كل واحدة ليها طعم وليها مذاق خاص ولا خنقة الجواز ولا رحت فين ولا جيت منين انا ناقص اريفة!

هتقولى بس الدين بيقول....؟

انا معرفش اى دين..! لم اتعلم شىء..!

ولم اذهب الى الكنيسة الا مرات معدودات فى افراح او احزان بعض الاقارب والاصدقاء لكن عارف ان فيه رب.. ايوه..

بس انا بعيد خالص عن تعاليم الدين...

هتقولى كده حرام عليك...

أقولك أنا مقدرش ابعد عن الملذات الدنيوية الشرب بأنواعه والنساء والسهر و....!

وكل الشلة سواء بنات او زوجات بتخون ازواجها كلهم عارفين انا هوائى.

يعنى أنا مبحبش حد يعنى النهاردة معايا سوسو بكرة تبقى معايا توتو.

· وبعده تبقى معايا ميمى حتى البنات قبل ما تيجى معايا الفيلا او الشاليه لازم تعرف انى مش بتاع جواز ولازم هيا اللى تحافظ على نفسها ومتجيش تقولى اصرف بعدما يحصل إللى مكنش فى الحسبان اشياء كثيرة وحشة انا بعملها...

هيه حياتى كده انا نفسى مش عاجب نفسى بس هاعمل ايه ربنا خلقنى كده وجعلنى فى هذا الجو اعمل ايه! مش عارف اغير نفسى!

حياة كلها ملل روتينية نهارها نائم فى حالة يرثى لها وليلها ساهر فى أحضان النساء وزجاجات الخمر متناثرة حولى

وأدخنة المخدرات تملاء أجواء المكان وعند حضور والدى التزم لعدة ساعات قليلات خوفًا من سؤال والدى الذى يلهيه عمله ويختفى بمقابلته فى المطار وتوديعه!

أمى فى جو آخر خالص فى خدمة المجتمع والأسر الفقيرة والأعمال الخيرية

أختى أحدثها على فترات طويلة من خلال الإنترنت دقائق معدودات كل واحد فى نسق مختلف فى الحياة اتخذه لنفسه وهى دنيا نعيشها ....

الأسبوع الماضى ذهبت كعادتى لقضاء الخميس والجمعة فى فيلتنا الموجودة فى إحدى قرى العين السخنة وبصحبتى صديقة أعرفها منذ فترة طويلة تحاول أن تنصحنى بالتوبة والعودة إلى الرب وأن أستقيم وأقلع عما أفعله وهيه تحبنى وتريد الزواج الرباط المقدس الذى يجمعنا فى الحلال الى الأبد.

وأنا أكره ذلك الكلام فاتركها لرفضها المثول لأوامرى وألجأ لغيرها ثم أعود إليها وأطلبها وأحاول معها وعندما أفشل أتركها لفترات ثم أطلبها يمكن أنا بحبها زى ما هى بتحبنى يمكن لا!

شعور غريب! وكان فى صحبتنا فى سيارتى صديق آخر ومعه محبوبته وطلبت منه أن يقود سيارتى فى منتصف الطريق

لإحساسى بالنُّعاس فرجعت للمقعد الخلفى وبصحبتى رفيقتى وانتقلت بجانبه صديقته أى تبادلنا الأماكن ولم تمض عدة دقائق وعلى مدخل مدينة العين السخنة حدث ما حدث!

تنقلب بنا السيارة وترتطم بسور حديدى ولم أشعر بشىء إلا وأنا فى المستشفى..

انا فين...!

انت فى المستشفى...

ايه اللى حصل

الحمد لله انت بخير مفيش حاجة حصلتلك.

وفين نانسى

بخير الحمد لله. وهى جاية تسلم عليك

نانسى ايه اللى حصل.

مجدى حمد لله على السلامة

ايه اللى حصل يا نانسى

حادثة وكنا هنموت زى اللى ماتو..!

لو مكناش بدلنا وقاعدنا ورا كنا.....

المهم يا مجدى اشكر الرب.

نشكر ربنا انه نجانا من حادثة موت.

بيحكوا يا مجدى ان العربية مش نافعة تانى بقت عبارة عن حتة حديد خردة.

فى ستين داهية العربية المهم احنا لسة عايشين

وانت يا مجدى حاسس بحاجة....

حاسس بالذنب يا نانسى..

لازم نصلى ونتوب لربنا... لازم..... لازم

لازم نجوز ولازم ارضخ لامر الرب ويكون رباط ابدى مقدس معاكى انت يا نانسى..

ولازم أكفر على كل.....

كويس قوى كده يا مجدى انا موافقة....

موافقة على ايه...

انت هتغير رأيك تانى خلاص...!

لا أنا بضحك عليكى... انا خلاص تبت.. ولازم نشكر ربنا بالفعل وليس بالقول فقط....

ياللا يا مجدى نخرج من المستشفى لنشكر ربنا فى مكان اخر.

٢٠١٠/٦/١م

••••••••••

حرامى الشنطة

بعد عناء الجرى والخوف والتخفى لأصل إلى مكان آمن أسير مع الناس وكأن لم يحدث شىء حتى أصل إلى شقتى التى أستأجرها والتى لا تدوم معى أكثر من شهرين أو ثلاثة...

أدخل مسرعًا وأخرج الصيد الثمين الذى أخفيته داخل شنطة بلاستيكية سوداء...

إنها حقيبة قيمة.. جلد طبيعى.. لونها جديد لأول مرة أراه... إننى متعجل لأفتحها لأفوز بالكنز المتنقل.. وهأنذا... ما هذا..؟!

شوية ورق... وبوك صغير.. أشوف جواه إيه.. اتنين جنيه وخمسة وسبعين قرش..؟ مش ممكن! أنا غلطت فى العنوان؟ .. إزاى...؟!

هو ده المكان الراقى صاحب الحقائب الثمينة المتخمة بكل خيرات الله من مال وفير ومتنوع ومن حتة صيغة أسورة خاتم سلوتير أو ألماظ ..

أمرى لله وعشانا عليك يا رب نشوف الورق ده أول ورقة مكتوب فيها حساب الشهر مية خمسة وعشرين جنيه إيجار الأوضة وعفشة الميه...

إيه الأوضة دى؟ وإيه عفشه الميه..؟ آه .. آه...

قصدها الشقة الصغيرة اللى بتسكن فيها.. ماشى

السهم اللى بعده ميه اتنين وتلاتين تمن أربع علب أنسولين فى الشهر... سبحان الله وعندك كمان السكر.. لاحول ولاقوة إلا بالله العلى القدير.. وإيه بس اللى وقعك فى إيدى؟! المهم أكمل باقى حساب الشهر وعشرة جنيه عيش فى الشهر طبعًا رغيف بشلن يادوبك كده وخمسين جنيه فى الشهر مرة ربع كيلو لحمة ومرة وركين فرخة ورك ليه وورك لأمى كل أسبوعين وفى معظم الأيام لأمى لأنها مريضة ومحتاجة للغذاء عنى... سبحان الله! ما هذا الإيثار؟!

أكمل الحساب ... وخمسة وعشرين جنيه لمحسن بتاع الفول والطعمية فطار وعشا طول الشهر وساعات غدا ومفيش عشا..!

إيه اللى حصل؟ جت لحد هنا ووقفت

مكملتش الحساب يبقى مرتبها خلص..

طب وبعدين... هتتغدى ازاى؟ وتدفع فلوس المواصلات منين؟ وعلاج أمها تجيبه منين...؟ وتلبس منين؟ ولو أنى شايفها لابسة كويس قوى باين عليها.. الله أعلم أكمل بقيه الورق.

أخى الدكتور محمد حافظ أستاذ المخ والأعصاب برجاء العناية بالأخت صابرة مع تحياتى. أخوك صلاح صوفى....

يا ترى عندك إيه يا صابرة حتى أسمك على مسمى.... أكمل...

ورقه مكتوب فيها أسماء مدامات وأمام كل اسم تاريخ ماذا تعنى بهذه الأسماء؟ الله أعلم! وأمسكت ببقيه الورق أتصفحه على عجل لأصل لأى شىء يدلنى على عنوان هذه السيدة لأذهب وأعيد لها شنطتها وأعرف حكايتها... يمكن أساعدها... بس أساعدها بفلوس حرام.. يمكن تقبلهم وكله حرام فى حرام ويمكن ب.. أنا يارب مش وحش قوى. بس !

أتوسل إليك يارب أرشدنى لمكان هذه السيدة أنا عارف أنى عاصى وفاجر بس ضعيف ومسواش بصله يارب هاتوب.. بس هاتوب ازاى فى الجو ده؟!

جو كله كذب ونفاق ورياء ومفيش شغل وأنا عاوز أعيش زى خلقك يارب ... بس أعيش بالسرقه والمال الحرام؟!

كله عايش كده.. اشمعنى أنا؟ .. لا.. لا هاتوب توبة نصوحة خلاص يارب وعدتك وساعدنى يارب... يا سبحان الله.. إيه ده..؟ كارنيه شغلها كويس قوى .. مصلحة إيه..؟ العقاريه.. ٤٥ شارع إيه؟ والاسم صابرة مش عارف ايه؟ .. حتى الكارنيه متهالك زى صاحبته.. المهم ممكن أوصل لعنوانها..

أروح لها الشغل.. بس أقولها أنا مين؟ ..

ولا ابعت لها الشنطة بكل اللى كان فيها.. هو كان فيها حاجة إلا شوية ورق يركبوا الواحد الهمّ!!

أحسن حاجة أحط لها ألف جنيه فى الشنطة أهو مساعدة ليها وأهو زكا عن المال اللى عندى بس ازاى أزكى على مال حرام مال مسروق ... مانا خلاص هتوب لازم أروح لها بكره .. قول إن شاء الله .. مانا مش قادر أقولها من كسوفى من ربنا عاوز أثبت له توبتى وبعدين أقف أمامه وأنا نظيف أكلمه ويكلمنى.

وذهبت إلى مكان عملها وسألت عليها أرشدنى أحد زملائها إلى مكتبها فاتجهت إليه وأنا مضطرب وجدت غرفة صغيرة

مصمتة لا فتحة فيها سوى الباب مكتظة بعدد من الموظفين والموظفات مرصوصين على دكك خشبية لتأخذ عدد أكبر من الموظفين بدلاً من الكراسى المتهالكة.. ولا جمهور ولا صاحب شأن، طبيعة هذه المصلحة هكذا موظفين بلا عمل والكل يعلم ذلك طب أسأل مين.. المكان خانق بيفكرنى بالزنزانة التى تلاحقنى فى كوابيسى كل ليله فتنغص على حياتى وأصحو مفزوعًا بالسجن والسجان والزنزانه.. من أفعالى.. بس تُبت والحمد لله!

لو سمحت يا مدام الأستاذة صابره موجودة

لا لسه ما جتش.. زمانها جاية.. يعنى هاتيجى تعمل إيه؟ زى مانت شايف مش لاقيين مكان نقعد فيه.. وهى مكان سكنها روح عينى بعيد شويه والمواصلات زحمة أيتها خدمة نقوم بيها مكانها..؟

لا مفيش حاجه دانا... طب خلاص هروح مشوار وهبقى آجى لها تانى سلام عليكم

ولم أتعد عشر خطوات خارج مكتبها إلا وتنادى على من كنت أحدثها منذ ثوانٍ قليلات بصوتها الجهور يا آستاذ.. يا آستاذ صابره جت.. آهه.

أقف فى مكانى مضطربا .. ماذا اقول لها؟ ومن أنا؟ وكيف أبدأ حديثى معها؟ أقول لها أنا حرامى الشنطه؟ أم ماذا أقول؟ هل تستطيع أن تعرف شكلى؟!

لا .. لا .. أنا كنت لابس نظارة سوداء وطاقية مش ممكن تعرفنى... مستحيل...

ويخرجنى صوتها الجميل الرقيق..

أيوه يا فندم أنا تحت أمرك.

تلعثم الكلام فى فمى لأول مرة.. أنا. أنا أمين على أمين

أى خدمه ياأستاذ أمين.

لا .. أنا... شنطتك دى.. اتفضلى حضرتك

أيوه.. أيوه الحمد لله يارب لقيتها فين.

آنا لقتها مرميه جنب صندوق الزبالة..

وعرفت إزاى عنوانى؟

اضطريت أفتحها عشان أعرف صاحبتها بس والله ماخدت ولا مليم منها..

مصدقاك ماتحلفش أهم شىء كارنيه العلاج دانا لسه كنت هعمل بدل فاقد .. الحمد لله يارب مش قادرة أقول لك اتفضل عشان مفيش مكان لحد يقعد فيه.

أنا متشكر أنا شفت المكان الله يكون فى عونكم.

زى ماحضرتك شوفت كده قاعدين بالعافية..

ليه كده الزحمة دى؟

كنا مقسمين نفسينا على أيام الأسبوع وكنت باجى يومين فى الأسبوع .. أهو على أد فلوسهم.

وإيه اللى حصل؟

منه لله اللى كان السبب.. قالوا ما بيجوش الشغل.. فشددوا علينا فى الحضور والانصراف وزى مانت شايف ولا فى شغل ولا فى مكان نقعد فيه والمرتب بيتصرف فى المواصلات وعذاب الطريق رايح جاى وبيعطلنى عن شغلى التانى.

شغلك التانى؟

أنا أسفة أنا طولت عليك

أنا بكرر شكرى ليك تانى وربنا يجزيك خير.

طب حضرتك بصى على الشنطة من جوه

هبص على إيه يا أستاذ.. شويه ورق والكارنيهين بتاع الشغل وبتاع العلاج فيه إيه تانى؟

على العموم تليفونى واسمى مع حضرتك لو احتجت أى حاجه أنا تحت أمرك. سلام عليكم.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مع ألف سلامة..

وتركت لها الشنطة وأسرعت فى الانصراف قبل أن تكتشف مبلغ الألف جنيه التى وضعته فى حقيبتها.

ويا ترى هيكون موقفها إيه لما تشوفهم صحيح دى فلوس حرام بس أنا ختهم من ناس معاهم لناس مش معاهم.

بس أنا إيه أدرانى أن الفلوس دى مع ناس معاهم الله أعلم بظروف كل الناس ممكن واحد أو واحدة محوشاهم أو جمعية تتعالج بيهم.. الله أعلم...

ولم تمض عدة ساعات وتتصل بى.

الأستاذ أمين؟

أيوه مين.

أنا صابره

أيوه يا أستاذة.. خير فيه حاجة..؟

عاوزة أقابلك حالاً بعد إذنك دلوقتى مش بكره

حاضر بس على مهلك أنا سامعك مضطربه فيه إيه بس؟!

معليش بس أرجوك ريحنى أو حتى أروح لك فى أى مكان

لا... ماتتعبيش نفسك. أنت موجودة فين دلوقتى؟

أنا بتصل من مكتب اتصالات فى ميدان شبرا.

ولم تمض عدة دقائق إلا وكنت أقف أمام صابرة

مساء الخير يا أستاذة

مساء النور . أهلاً

فيه إيه؟ جبتينى على ملا وشى .

أنا آسفه خد حضرتك الظرف دا .

ظرف إيه ده بالظبط؟

فلوس كانت جوا الشنطة والفلوس دى مش بتاعتى وحضرتك اللى جبت الشنطة يبقى الفلوس دى بتاعتك وأنا ماقبلش حاجه زى كده.

يا أستاذة صابره ممكن نتكلم مع بعض شوية.

ماقدرش الوقت متأخر وسايبة أمى لوحديها

ممكن أعرف عنوانك؟

أرجوك يا أستاذ آمين أنا ظروفى صعبه وسيبنى فى حالى أرجوك وأنا متشكره على كرمك ده ...

وتتركنى صابره وأنا فى حيرة من أمرى وأمرها ماذا أفعل مع هذه الإنسانة المكافحة التى ترفض القرش الحرام يدخل بيتها ولم تنتظر وجوده حتى الصباح ولم تفعل شىء لى وكله فى

الخفاء.. لكنها متيقنة بوجود الله كيف ذلك وأنا عيشتى حرام فى حرام ..

آه معايا الفلوس كثيره لكنها كلها فلوس ناس.. أخاف الناس ولا أخاف من الله؟!

ماذا أفعل مع صابرة الإنسانة الشابة التى حباها الله بجمال وقناعة تغنيها عن كنوز الدنيا كلها...

لا بد من الذهاب إلى عملها لمعرفة عنوانها.

وطال انتظارى أمام مقر عملها لمدة أسبوع كامل حتى وجدتها قادمة فوجئت بى.

أهلاً يا أستاذ أمين .

أهلاً يا أستاذه صابره حمد لله على السلامة.

الله يسلمك. أنت عارف أنى كنت فى اجازه ولا ايه؟

أنا بقالى أسبوع كامل آجى الصبح أستناك.

خير يا أستاذ أمين.

طبعًا خير ان شاء الله.. بس أنا عاوز أتكلم معاك شوية.

اتفضل اتكلم أنا سمعاك كويس اتفضل.

مش هينفع الكلام كده وحنا واقفين.

أمال عاوزنى أروح فين؟ المكان جوه زحمة والبيت مستحيل.
أى مكان تختاريه مكان عام فيه ناس متخافيش.
أنا عمرى ماخرجت مع أى شاب فى أى مكان.
محطه المترو جنب الشغل وده مكان عام..

هدخل أوقع فى دفتر الحضور وهخرج لك آشوفك عاوز إيه.

وجلسنا على أحد مقاعد محطة سعد زغلول القريبة من عملها ومترو الأنفاق يصول ويجول ركابه بين الصعود والنزول....

صابره أنا معجبى بيك قوى..

يا أستاذ أمين أنا قلت لحضرتك قبل كده ان ظروفى صعبة..

ياستى أنا عارف كل حاجة عنك.

لا طبعًا مش عارف حاجة يا أستاذ أمين أنت شاب كويس قوى وميت بنت تتمناك.

بس أنا عاوزك أنت يا صابره. أنا آسف أنى بناديك باسمك بدون ألقاب.

مفيش مشكلة بس زى مقلتلك أنا ماليش حد فى الدنيا دى غير أمى اللى ربتنى وتعبت عشانى وهى دلوقت مريضة وأبوى

متوفى أنا ماشوفتوش ولا أعرف لى أحوال ولا أعمام أنا مقطوعة من شجره ماليش حد..

أزاى ياأستاذة...؟

المواضيع كثير وقصصى كثيرة قوى مش عاوزة أحملك همى..

أنا قابل كل شىء يا صابره أنت شابة جميلة وقوية وشريفة ويتمناكى أى إنسان كويس.

حاجة تانية لازم تعرفها..

ايه هيه..؟

أنا باخد اجازة من الشغل وبروح أشتغل فى بيوت وشقق البهوات

شقق بهوات مين.

لا مخك ميروحش لبعيد ماكانش حالى يبأى كده.

ما أنا برضه....

برضه ايه يا أستاذ؟ أنا بشتغل مكان أمى بنظف وروأ البيت أو الشقة شغلة أمى اللى ربتنى بتعبها وشقاها لحد لما تملك منها المرض ونايمة بتصارع المرض.

دى حاجه تشرفك وتزيد إعجابى بيك.

يا أستاذ بلاش كلام شعارات مش هيجيب همه .أنت عارف الشنطة اللى حضرتك جبتها لى دى اتخطفت منى فى منطقة المهندسين. أنا كنت رايحة الشغل الخاص ده وصاحبنا اتغر فى شكل الشنطة

آه فعلاً شنطة جلد طبيعى

طبعًا آنا عمرى ما أحلم أشيلها لكن الست هانم الله يكرمها بتحب تغير كل حاجة فى حياتها ومن ضمنها شنطها ولبسها وهى عارفة أنى موظفة كحيانة بتدينى مرة شنطة، مرة جزمة، مرة جيبة وبلوزة، وعلى حسها بلبس كويس والناس ملهاش إلا المظاهر الكدابة...

طب مبتفكريش فى نفسك يا صابره ؟

إزاى يعنى؟

قصدى أنت شابة حلوة وصغيرة مافكرتيش تحبى وتتحبى زى كل الناس؟

طبعًا اتمنيت وحلمت بس أحلام بسيطه تتناسب مع ظروفى وتتحقق بالطريق الشرعى اللى ربنا محلله قصدى الجواز على سنة الله ورسوله وبشروط تانية.

أنا قصدى كده قصدى شريف يا آستاذة صابره .

وبعدين أنا ماعرفش حاجة عنك خالص. وأنت عرفت كل حاجة عني...

مين أنت بالظبط؟ شغال إيه؟ ده اسمك الحقيقي ولا ....؟ فيه أسرار وراك أنا حاسه بكده معرفش ليه..؟

اسمي هو فعلاً أمين على أمين .وأنا حبيتك من أول ما شفتك حاجة كده خلتني انجذبت ليك.

سيبك من حكايه الحب دى. إيه إلى وراك يا أستاذ أمين؟ اتكلم بصراحة أرجوك ...

أنا ياستى من غير لف ولا دوران حرامى الشنطة.

يانهار أسود أنت... مش قادرة أقولك يا أستاذ... ومش قادرة أقولك يا أمين ..ازاى...؟

دى الحقيقه يا أستاذة

ومن ساعة ماخطفت شنطتك وفتحتها وأنا فى عذاب ضمير لا يعلمه إلا الله وطلبت من ربنا أن يرشدنى لصاحبة الشنطة وتوبة نصوحة ما أرجع ليها تانى.

أزاى شكلك ما يوحيش أنك... وأسلوبك...

أنا والله العظيم مش وحش للدرجة دى..

هى دى فيها درجات حرامى..

دى فترة وعدت وأنت ربنا بعتك ليه عشان أتوب.

أنت ملكش أهل زيى..؟

لا أنا أهلى كويسين قوى وأخواتى متعلمين وشغالين فى أماكن كويسة وأبوى عنده ورشة نجارة زى الفل

أمال إيه حكاية السرقة دى؟

مرض واللى ابتلانى بيه شلة الأنس

إيه شلة الأنس دى؟

مجموعة من الشباب حالهم متوسط زى مستوى معظمنا أدمنا السهر وحاجات تانية ولا بد من الفلوس وفلوس كثيرة تيجى ازاى إلا من حاجة سريعة وسهلة؟

مافكرتش فى نفسك لما ينقبض عليك وتدخل السجن؟

لا مافكرتش وربنا كان ساترها.

عشان ربنا كان ساترها معاك تستمر فى الحرام؟ الإنسان منا عجيب فى أفعاله..

بس خلاص أنا تبت وأنت السبب ..

أنا السبب يعنى عوزنى أتجوز حرامى يا أستاذ أمين بعد صبرى على حالى أمرغ دماغى فى الوحل فلوسك كلها حرام

ويمكن كمان تلاقيك بتشرب مخدرات وحاجات تانية مقدرش أقولها....

أنا أرتكبت كل الحاجات دى بس أنا مش مدمن والحمد لله وخلاص على إيدك تبت توبة نصوحة وهروح ورشة أبوى هشتغل معاه وهكون راجل يعتمد عليه ومالیش دعوة بشلة الأنس تانى ولا عمرى همد إيدى على الحرام تانى.. بس أرضى عنى.. وأنا كلمتك بكل صراحة..

أستاذ أمين أنا ماقدرش ارتبط بيك بعد اللى سمعته ده عشان خاطر نفسك ازاى.. وأنا حاسه فى كلامك الصدق.. لكن الكلام لايكفى.. الكلام حلو وسهل لكن الفعل صعب والتغيير إلى الأحسن أصعب حاول تتغير وترجع لربنا وتوب توبه نصوحه لعل الله يتوب عليك ويغفر ذنوبك.

وأنتى يا صابره

أنا هفضل صابره.. يمكن نلتقى.. ويمكن...!

٢٠١٠/٦/٥م

****

كيد النسا

عرفتها فى حفل عرس أحد أقاربنا ....
لفتت نظرى وانتباهى من أول نظرة..
حاولت الاقتراب منها والتعرف عليها أكثر...

آنسة خريجة جامعية تعمل فى مكان مرموق غير مرتبطة على الأقل ظاهريًا...

بدأت أتحرى عنها تمهيدا لمرحلة الزواج ولم تمض فترة وجيزة حتى أصبحت يسرا زوجة لى..

إنها جميلة حقا وجه مريح لنفسى وجسد ثائر مطيع لأوامرى تعرف أعضاؤه الدور المطلوب منه فأمتعتنى وأمتعتها وأسعدتنى وأسعدتها...

ولم تمض عدة شهور قليلة قبل أن ينتابنى هواجس سيطرت على عقلى وترجمتها أفعالى وأقوالى من تمتع بهذا الجمال قبلى...!

لا تكذبى... هذا الجسد الثائر... لا يستطيع الصبر!

أقريب...؟

أم صديق...؟

أم ...؟

كم ....؟

ومتى؟!

وهل اقترفت الخطيئة..؟

كم؟

ومتى..!

صارحينى ولا تكذبى... سأغفر لك..

أنظر إلى زوجتى... وأسرح فى هواجسى..

انت راجل مريض... الشك سيقتلك

أترمينى بأفظع التهم التى تُرمى بها امرأة عندما تزوجتنى فى أول ليلة كيف وجدتنى؟

مَنْ الذى فض بكارتى...؟!

مَنْ الذى أرشدنى إلى دور كل عضو فى جسدى ليتقن دوره على أكمل وجه..؟!

مَنْ الذى حدثنى فى أمور لأول مرة أعرفها...؟

وتلفظ بألفاظ غريبة على آذنى...

وأشياء أستحيى من ذكرها... من....؟ من...؟

أنت

يا زوجى العزيز كفاك...

تخرجنى زوجتى من شرود ذهنى فى حوار خفى لو صرحت به لفسدت علاقتنا الزوجية..

أنا حامل يا حبيبى.

ألف مبروك يا حبيبتى عرفت امتى؟

النهارده خرجت من الشغل وعملت اختبار حمل..

ألف مبروك يا حبيبتى وحاسبى على نفسك....

أنا يعنى بعمل ايه...

مجهود الشغل....

ما انت عارف معايا العربية والعمل مجهود ذهنى

ربنا يسترها ويتمم بخير ادخلى غيرى هدومك وخدى حمامك

حاضر يا حبيبى... الأكل وصل؟ آنا مكلماهم أول ما رحت الشغل..

فعلاً وصل وانا هجهزه عقبال ما تخدى حمامك.

وتمر الأيام بحلوها المشترك ومرها الذى يحتوينى ويسيطر على تفكيرى آنا فقط ولا أصرح به.

ويرزقنا الله بتوأمين ولد وبنت وبصحة جيدة ونفرح بهما وتأخذ زوجتى إجازة من عملها لرعاية الأولاد والتفانى فى خدمتى وإشباع رغباتى والسيطرة على هواجسى التى تكاد تقتلنى وتحس بها زوجتى دون أن تصارحنى...

الأيام تجرى والأولاد يكبرون وما زالت زوجتى ترعاهم والحنين إلى العودة إلى العمل يراودها فطلبت منى على استحياء العودة وافقت بعد ترتيب كيفية العناية بالأولاد من الناحية المدرسية والمنزلية وإحضار مربية لعدة ساعات. والأكل؟ نعود للدلفرى.

ويتم ترقيتى فى العمل وأنغمس أكثر فى عملى مما ينسينى الكثير من الهموم التى أرهقتنى فى الماضى...

وأصبحت أسعى لإنجاح علاقتى الاجتماعية مع زملائى وزميلاتى فى العمل من مناسبات متنوعة وأصبح المنزل مكانًا

أستريح فيه من عناء اليوم لأستعد لليوم التالى ويتوفى زوج زميلة لنا فى العمل تعمل تحت رئاستى لم يمض على زواجها سنوات قليلات تعد على أصابع اليد الواحدة.

قضت أكثرها فى المستشفيات وداخل غرف الأطباء ومعامل التحليل...

لقد ابتلى زوجها بالمرض العضال فى الشهور الأولى لزواجه فصبرت زوجته الشابة على هذا البلاء فكانت نعم الزوجة التى صانت شرفها وشرف زوجها المريض...

وقفت بجانبها فى إنهاء إجراءات أوراق معاش زوجها واقتربت منها أكثر وأصبحت لا أستطيع الاستغناء عنها فتزوجتها وعشت معها سرًا فى إحدى شقق المدن الجديدة..

وأحست زوجتى بتغيرى وكثرة مأمورياتى خارج القاهرة وتتبعت تحركاتى حتى وصلت لمكانى وزواجى من زميلتى فى العمل.

انقلبت زوجتى من امرأة وديعة جميلة إلى امرأة قبيحة متمردة متنمرة كشفت عن أظفارها المدببة وسمعت منها أفظع الألفاظ النابية التى لم أسمعها من قبل .

ولم تفلح الوساطة بيننا للصلح ويتم تطليقى لزوجتى أم أولادى بناء على طلبها ورغبتها ورفضى تطليق الثانية.

وتنتهى فترة العدة...

ويقتلنى الحنين إلى أولادى وإلى حضن زوجتى يسرا؛ كيف تركت هذا الجمال والجسد الثائر المتوهج دائمًا المفعم بالحيوية؟

إنها تفوق زوجتى الثانية بكل مقاييس الدنيا والآخرة..

ماذا أذنبت زوجتى الأولى...

ويأتينى الكلام من فلان وفلانة صديقة زوجتى وقريبتها بأن زوجتى الأولى ستتزوج فى القريب العاجل من شاب كان يحبها وكانت تحبه وحال سفره دون إتمام الزواج..

لقد عاد الحبيب من الخارج بعد فشله فى زواجه من أجنبية هناك ليجد حبيبته جاهزة له..

يأتى الحديث عن خروجهما فى سيارتها مرة وفى سيارته هو مرات عديدة على سمعى ليقلقل الصخر الذى وضعته على جراحى وهواجسى القديمة لينفتح الجرح مرة أخرى بعد طول غلقه ليدمى صديدا فار من بركان ثائر.

ماذا أفعل وزوجتى الثانية تحس بى؟ وما ذنبها؟!

إنها لم تسع إلى الزواج منى... إنها صغيرة، ولم تنجب وتريد أن تكون أما... وأنا....!

لا بد من اقتحام المؤامرة التى يدبرها لى الجميع...

حاولت الاتصال بزوجتى الأولى يسرا أكثر من مرة قابلتنى بالرفض...

حتى توسلت إليها من أجل أولادنا

لا بد أن تعودى وكفاك ما حصل..

سأطلق زوجتى الثانية وأنفذ كل شروطك من أجل عودتك.

عودى إلىَّ، أرجوك!

وتعود زوجتى يسرا بعقد زواج جديد بعد طلاق زوجتى الثانية وأسعد بأولادى لكن لم أسعد بزوجتى لم ألمسها ولم أتمكن منها بعد مرور ما يقرب من عام...!

يا هل ترى تقابل هذا الحبيب الأول فى الخفاء؟!

أتخونيننى يا زوجتى؟! أم عناد بلا خيانة؟!

أتستطيعين الصبر على عدم الممارسة هذه المدة وأنت من تعشقينها كما عشقتها!

لقد مر عام وأنا أعيش عازبًا فى غرفتى وحيدًا لا آنيس ولا جليس سوى أولادى.. لقد قتلنى الشك ولا أستطيع البوح به للاحتفاظ بها!

لكن ارحمينى يا زوجتى كفاك تعذيبى!

وكفاك ما ورثته من كيد النسا.....

٢٠١٠/٧/١م

••••••••••

الفهـرس

تـقـديم ... ص ٣
تحت المطر ... ص ٩
الـكلاف ... ص ١٥
إيـزادور المصرية ... ص ٣١
عفريت الكروت ... ص ٥٥
نبوت الصعيدى ... ص ٦٧
صـمت الـصراخ ... ص ٧٥
الـزواج المبـتـور ... ص ٨٩
مـبـروك مـدام ... ص ١٠١
الـسكـرامـة ... ص ١١١
دونـچـوان بـان ... ص ١١٩
الـهـانم والـبـيه ... ص ١٢٧
زوجـــــتى ... ص ١٣٩
أنين الخطيئة ... ص ١٤٧
الزيارة الأخيرة ... ص ١٦١
المخـــــدوع ... ص ١٦٩
رجل واحد لا يكفى ... ص ١٧٩
نـشـكـر ربـنـا ... ص ١٨٧
حرامى الشنطة ... ص ١٩٣
كـيـد الـنـسـا ... ص ٢٠٩

دكتور أحمد مصطفى أحمد صبيح

- أسم الشهرة (أحمد صبيح).

المؤهلات العلمية:

- ليسانس الحقوق - جامعة عين شمس - ١٩٨١م.
- ماجستير القانون بدرجة إمتياز مع مرتبة الشرف
- دكتوراه القانون بدرجة إمتياز مع مرتبة الشرف - كلية الحقوق - جامعة عين شمس.

الوظيفة:

- وكيل وزارة المالية .
- رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والاتصالات - قطاع شئون المصلحة.

النشاط الثقافى والأدبى:

- عضو إتحاد كتاب مصر منذ القرن الماضى.
- عضو مجلس إدارة نادى الجمارك بالقاهرة لثلاث دورات.
- عضو الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما.
- عضو الجمعية المصرية للأقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع.
- مدير تحرير مجلة (عطاء) - التى يصدرها جمرك تفتيش الركاب بمطار القاهرة الدولى ١٩٨٧م.

- رئيس تحرير مجلة الجمارك التى تم إصدارها ١٩٨٩م.
- رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية للعاملين بمصلحة الجمارك والضرائب على المبيعات.

المؤلفات التخصصية:

- الكتاب الإرشادى (دليلك للحج والعمرة)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) عدة طبعات.
- كتاب (دليلك فى سفرك ووصولك)، عشر طبعات منذ عام ١٩٩٠م.
- الكتاب التخصصى الجمركى الشامل (دور لوجيستيات الجمارك فى الحد من المنازعات الجمركية) - دار النهضة العربية ٢٠٠٩م.
- الكتاب التخصصى (إستراتيجية العلاقات العامة والإعلام بمصلحة الجمارك) - دار النهضة العربية ٢٠١٢م.
- كتاب (الرقابة الجمركية ولغة الجسد) دار الدراسات العربية ٢٠١٦م.
- كتاب (الرقابة المالية والإدارية ودورها فى الحد من الفساد الإدارى) - دار الدراسات العربية ٢٠١٦م.

المؤلفات الأدبية:

صدر للكاتب العديد من الكتب الأدبية للكبار والأطفال والتخصصية نذكر منها:

- دموع الندم (قصة سينمائية).
- لقاء غير منتظر (قصة سينمائية).

- قتلت نفسى بيدى (قصة سينمائية).
- القاتل البرئ (قصة سينمائية).

صدر للمؤلف أربع مجموعات قصصية.

- البيت الكبير (مجموعة قصصية - هيئة قصور الثقافة).
- بنتى أمريكية (مجموعة قصصية - الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- عظيمة (مجموعة قصصية - الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- الحب المفقود (مجموعة قصصية - دار هلا للنشر والتوزيع).
- يوميات مأمور جمرك. (مسرحية ثلاث فصول).
- طلائع بلادنا للطلائع - جزئين - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حكاية توشكى، ملحمة وطنية شعرية للأطفال - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العنزة المعجزة (من سلسلة حكايات جدتى)، للأطفال - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- اليوم الأول فى العام الدراسى (من سلسلة المسرح المدرسى)، للأطفال - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سلسلة (ولد وبنت) وهى عبارة عن ١٢٧ قصة (سلوكيات) للأطفال، فى خمسة عشر كتاب، ضمن مهرجان القراءة للجميع - مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أحلام الطفل العربى (شعر) للأطفال - مهرجان القراءة للجميع - مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثمانية كتب تحت عنوان (بيئتى دنيتى)، عن البيئة للأطفال ومنها:

- الهواء وتلوث الهواء، الماء وتلوث الماء. النباتات والأشجار، الأرض والتربة الزراعية، الغذاء وتلوثه وأضراره، النفط وتكوين البترول. الطاقة وتلوث البيئة، الأوزون.
- الثعلب والحية من سلسلة (حكايات جدتى) - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحمار الفصيح للأطفال - دار الطلائع للطبع والنشر.
- الطبيب الصغير - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كتب تحت الطبع بإذن الله:

- ورود وأشواك (قصة سينمائية).
- همام والثأر (قصة سينمائية).
- أغرب القضايا الجمركية فى صور قصصية.
- سلسلة أطفال مصر (أطفال مصر - مولود يتحدث - أمى حبيبتى - الطيارة - التين الشوكى - البلحة).
- ديوان شعر للأطفال (لا للإرهاب - لا للتدخين - لا للأمية - لا للختان.
- بنت مصر العربية (شعر للطلائع).
- جيل المستقبل (سلسلة) للأطفال والكبار.
- خلود (سلسلة) للأطفال والكبار.
- أنهار الدنيا (سلسلة) للأطفال والكبار.

- كيف يصنع الكتاب (سلسلة) للأطفال.
- نجوم فى سماء الحضارة المعاصرة (سلسلة) للأطفال والكبار.
- طلائع العرب فى دولة الأمارات للأطفال والكبار.
- جيل المستقبل (سلسلة) للأطفال الكبار.
- سلسلة حكايات طفولية (حكاية ميرنا - حكاية هند - حكاية هدى - حكاية مريم - حكاية صابرين وأختها نسرين - حكاية زينب - حكاية تقى - حكاية أحلام والأستاذة نرمين).
- الجمارك المصرية (سلسلة الثقافة الضريبية للأطفال والكبار).
- الضرائب المصرية (سلسلة الثقافة الضريبية للأطفال والكبار).